جامعة اليرموك

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم أصول الدين

ماجستير أصول الدين

الإعجازُ النّسَقيُّ للفاِصلةِ القُرآنيةِ في سورةِ الفتحِ

The Syntagmatic Inimitability of the Qur'anic *FaṢilah* in surah AL-Fath

قدِّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالبة:

هالة محمد محمود العبسي

٢٠١٦١٨٦٠١١

إشراف الدكتور:

نذير نبيل الشرايري

الفصل الدراسي الثاني

١٤٤٠هـ – ٢٠١٩م

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

(الإعجاز النَّسقيُّ للفاصلة القرآنية في سورة الفتح)

إعداد الطالبة

هالة محمد محمود العبسي

قدِّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في تخصص التفسير وعلوم القرآن في جامعة اليرموك، إربد– الأردن.

وافق عليها

نذير نبيل الشرايري ..... مشرفاً

أستاذ التفسير وعلوم القرآن في كلية الشريعة – جامعة اليرموك

محمد رضا الحوري ..... عضواً

أستاذ التفسير وعلوم القرآن في كلية الشريعة – جامعة اليرموك

محمد عواد الخوالدة ..... عضواً

أستاذ التفسير وعلوم القرآن كلية الشريعة – جامعة جرش

نوقشت بتاريخ

2019/4/24م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإهداء

إلى والديَّ العزيزين الذين أفنيا عمريهما في تربيتنا وتنشئتنا على طاعة الله تعالى ورسوله

إلى إخواني وأخواتي الأعزاء الذين كانوا دائماً سنداً وعوناً لي

إلى كل زميلاتي اللواتي ساعدنني وتمنَّين الخير لي دائماً

إلى طالباتي العزيزات اللاتي كنَّ يدعمنني بسؤالهن عن أحوالي ودعائهن لي بالتوفيق

إلى كل طلاب وطالبات العلم الذين يسيرون على هدى النبي – صلى الله عليه وسلم – في التعلم والتعليم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشكر والتقدير

الشكر دائماً أبداً لله تعالى الذي هداني لهذا وما كنت لأهتدي لولا أن هداني جلَّ جلاله

ثم الشكر الجزيل لمشرفي الفاضل الدكتور الأكرم نذير الشرايري الذي لم يألُ جهداً في نصحي

وإرشادي وتقويم رسالتي جزاه الله تعالى عنِّي كلَّ خير وبارك فيه

كما أشكر لجنة المناقشة التي تكرمت بقبول مناقشتي وشرفتني بذلك

وأشكر أساتذة الشريعة الأفاضل الذين يقدمون لنا النصح والإرشاد والتوجيه في كل حين

كما أشكر كل من ساعدني ودعا لي وتمنَّى لي الخير.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	د
الشكر والتقدير.....	هـ
فهرس المحتويات.....	و
الملخَّص.....	ح
المقدمة.....	١
مشكلة الدراسة، أهداف الدراسة.....	٣
أهمية الدراسة.....	٤
الدراسات السابقة، المنهجية.....	٤
خطة الدراسة.....	٦
التمهيد: التعريف بالإعجاز النسقي، والفاصلة القرآنية، وسورة الفتح.....	٨
المطلب الأول: بيان مفهوم الإعجاز النسقي لغة واصطلاحا.....	٩
المطلب الثاني: بيان مفهوم الفاصلة القرآنية وأنواعها وطرق معرفتها.....	١٤
المطلب الثالث: بيان اسم السورة ومتعلقاتها.....	٢٣
الفصل الأول: الانسجام والتناسب بين الفاصلة القرآنية وسياقها في النصف الأول من سورة الفتح....	٢٨
المبحث الأول: المنح الإلهية للنبي – صلى الله عليه وسلم –.....	٢٩
المبحث الثاني: بشائر الله تعالى للمؤمنين.....	٤٠
المبحث الثالث: جزاء المنافقين والمشركين.....	٤٥
المبحث الرابع: وظيفة النبي – صلى الله عليه وسلم – ووظيفة المؤمنين وبيعتهم.....	٥١
المبحث الخامس: فضح المخلفين وبيان جزائهم.....	٦١
الفصل الثاني: الانسجام والتناسب بين الفاصلة القرآنية وسياقها في النصف الثاني من سورة الفتح...	٧٢
المبحث الأول: جزاء الوفاء بعهد الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم –.....	٧٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: البشارة بتحقيق رؤيا الرسول – صلى الله عليه وسلم –..... ٩٣
المبحث الثالث: التكريم الإلهي لأصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم –..... ٩٥
الفصل الثالث: أوجه التناسق بين الفاصلة القرآنية وموضوعات سورة الفتح..... ١٠٣
المبحث الأول: مناسبة الفاصلة القرآنية لمواطن المنة والفضل من الله تعالى على نبيه– ﷺ– والمؤمنين وذكر صفاتهم..... ١٠٤
المبحث الثاني: مناسبة الفاصلة القرآنية لمواطن التخلف عن نصرة الدين وفضح المخلفين والمنافقين. ١٢٠
المبحث الثالث: مناسبة الفاصلة القرآنية لمواطن البيعة والتمكين في الأرض..... ١٢٨
الخاتمة..... ١٣٥
المصادر والمراجع..... ١٣٧
الملخص باللغة الانجليزية..... ١٤٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الملخَّص

العبسي، هالة محمد محمود. الإعجازُ النَّسقي للفاصلةِ القرآنيةِ في سورة الفتحِ. رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، (٢٠١٩)،(المشرف: د. نذير نبيل الشرايري).

هدفت الدراسة إلى بيان الإعجاز النَّسَقي للفاصلةِ القرآنيةِ في سورة الفتح، وذلك بإظهار التناسب والانسجام بين الفاصلة القرآنية وسياقها، و المقطع القرآني الذي وردت فيه، وكذلك إبراز التلاؤم والتمازج بينها وبين موضوعات سورة الفتح، حيث يظهر جميل النَّظم وبديع الترابط والتلاؤم بينها كلها، فتظهر وكأنها وحدة واحدة لا اختلاف فيها ولا تناقض

ولتحقيق هذه الأهداف سلكت الدارسة المنهجين الوصفي، والتحليلي.

وتوصَّلت الدراسة إلى أنَّ للفاصلةِ القرآنيةِ في سورة الفتح إعجازاً بالغاً في ترابطها وتناسبها لسياقها ومقطعها القرآني، وموضوعات سورتها.

الكلمات المفتاحية: الفاصلة القرآنية، سورة الفتح، الإعجاز، المناسبة، النَّسَق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين فأما بعد:

فإن القرآن الكريم كلام الله تعالى المعجِز، الذي أعجز أهل البلاغة والفصاحة عن الإتيان بمثله، ووجوه الإعجاز فيه كثيرة متنوعة ما بين إعجاز علمي وتشريعي وغيبي وآخر بياني، ولعل الإعجاز البياني هو أعظم وجوه الإعجاز لوقوع التحدي به ابتداءً، ولاشتماله على أنواع الإعجاز كلِّها .

ولهذا الإعجاز أوجه متنوعة تظهر في حروف القرآن الكريم وكلماته وجُمَله ونَظْمِه، فكل حرف من حروفه، وكل كلمة من كلماته جاءت في مكانها المناسب لتعطي المعنى المناسب، حيث لو غُيِّرت أو أبدلت لاختلَّ المعنى. ولم يقف الإعجاز عند اختيار الكلمات المفيدة للمعنى فقط، بل تعدَّاه إلى بديع الربط والتلاؤم بين هذه الكلمات لتكوِّن جملاً بديعةً رفيعة المقام توصِل إلى أجلِّ المعاني المقصودة بأرق وأجمل صورة ممكنة في الوجود، حيث إنها تُطرب كلَّ من يسمعُها ويقرؤها، كما يكون لها كل الأثر في نفسه وقلبه.

ومن وجوه هذا الإعجاز، إعجازه في اختيار الفاصلة القرآنية المناسبة للسياق، فالناظر للفاصلة القرآنية والباحث فيها، يجد أنها تحمل معانٍ تتناسب كل التناسب مع سياقها الذي جاءت فيه، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بما قبلها وما بعدها، كما أنها تتلاءم كل التلاؤم مع المقطع القرآني الذي وردت فيه، وبموضوعات السور كذلك، ومما يظهر هذا الترابط ويبرزه موقعها الإعرابي، ووزنها، وصفات حروفها، وأحكام التجويد القائمة فيها، وحروف رويِّها، فلكل جانب من هذه الجوانب أثر بالغ في إعطاء صورة حيَّةٍ لهذا الانسجام والتلاحم بينها وبين سياقها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وستُعنى دراستي ببيان هذا الانسجام والتناسب بين الفاصلة القرآنية وسياقها، وترابطها مع المقطع القرآني الذي وردت فيه، وامتزاجها بموضوعات سورة الفتح، حيث ظهر الترابط والتمازج بصورة معبِّرة مصوِّرة للكثير من الأحداث، فظهر هذا الارتباط بينها وبين أحداث السيرة النبوية، كما برز واضحاً في تصوير مشاهد من يوم القيامة، وكذلك قدمت لنا وصفاً دقيقاً للبواطن والقلوب عند الحديث عن المؤمنين، والكافرين، والمخلَّفين، إضافةً إلى إبداعها في إقرار قواعد تربوية في كيفية التعامل مع الله تعالى، وأكثر ما أظهر جماليتها ورونقها وصفها لأسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلى. فجاءت في ذلك كله ترسم صورة حيَّةً للحدث الذي تصفه، ناهيك عن أثرها النفسي في قلب وعقل القاريء والسامع لها، كما أنَّها أظهرت وحدة النَّسَق في سورة الفتح، فربطت بصورة بديعة بين مطلع السورة ووسطها وآخرها، حتى باتت وحدة واحدة مترابطة متناسبة.

وقد وقع اختياري على سورة الفتح للأسباب الآتية :

١- إن العالم الإسلامي اليوم يعاني من ضعف ووهن شديدين، وهذه السورة الكريمة على الخصوص تبعث في نفس المسلم القوة والعزيمة، وهي تشير إلى صلح الحديبية الذي كان فتحاً مبيناً، وتجعل ما ظاهِرُهُ الانهزامية بذرة في طريق النصر والتمكين .

٢- وجدت مجموعة من الدراسات التي أفردت سوراً بعينها لعلَّةٍ ترتبط في كل سورة، ورأيت أن تقديم المقترحات المستفادة من سورة الفتح حري بالدراسة؛ لما لها من أثر عظيم في نفس المسلم .

٣- لاشتمال فواصلها على مظاهر من النَّسَق البديع، فالفاصلة القرآنية في السورة تقرر أحداثاً من السيرة النبوية، وتصور مشاهد من يوم القيامة، وأخرى لحال القلوب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومكنونات الصدور، كما أنها تقرر قواعد تربوية مهمة في كيفية تعامل المسلم مع ربه جلَّ وعلا.

مشكلة الدراسة :

تظهر مشكلة الدراسة في الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

ما الإعجاُز النَّسَقيُ للفاصلةِ القرآنيةِ في سورةِ الفتح ؟

وتتفرع عنه الأسئلة الآتية :

١. ما الانسجام والتناسب بين الفاصلة القرآنية وسياقها في النصف الأول من سورة الفتح؟
٢. ما الانسجام والتناسب بين الفاصلة القرآنية وسياقها في النصف الثاني من سورة الفتح؟
٣. ما أوجه التناسق بين الفاصلة القرآنية وموضوعات سورة الفتح ؟

أهداف الدراسة :

تسعى الدراسة إلى تحقيق الهدف الرئيس الآتي :

بيان الإعجاز النَّسَقي للفاصلةِ القرآنيةِ في سورة الفتح .

وتتفرع عنه الأهداف الآتية :

١. بيان الانسجام والتناسب بين الفاصلة القرآنية وسياقها في النصف الأول من سورة الفتح.
٢. إظهار الانسجام والتناسب بين الفاصلة القرآنية وسياقها في النصف الثاني من سورة الفتح.
٣. الكشف عن أوجه التناسق بين الفاصلة القرآنية وموضوعات سورة الفتح .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أهمية الدراسة :

إن الحديث عن الإعجاز النَّسَقي للفاصلة القرآنية في السورة المفردة له أهمية كبيرة مما يجعله يستحق البحث والدراسة لأسباب منها :

١- أنه يظهر دلائل الإعجاز القرآني المختلفة، فكما أن القرآن الكريم معجز في فصاحة ألفاظه فهو معجزمن جهة ترتيبه ونظم آياته، وتناسب فواصل الآيات مع سياقاتها .

٢- أن إظهار التناسب بين الفواصل وسياقاتها في السورة يبرز القيم الجمالية والبعد التأثيري لهذا التناسب والانسجام، ويظهر الربط العجيب بين الفاصلة وأحداث السيرة النبوية، ومشاهد يوم القيامة، وتقرير القواعد التربوية المنظمة لحياة الفرد المسلم.

٣-أن إبراز الترابط بين الفاصلة القرآنية وسياقها، وبينها وبين المقطع القرآني، وموضوعات السورة يظهر وحدة النَّسق في السورة الواحدة، فتظهر وكأنها وحدة واحدة متناسقة متناسبة، وهذا من أعظم ما يبرز وجوه الإعجاز فيها.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع توصلت إلى وجود بعض الدراسات العلمية ذات الصلة، ومن ألصقها بالموضوع الدراسة الآتية :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١. دراسة أبو عون، بعنوان" المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها دراسة تطبيقية على سورة محمد –صلى الله عليه وسلم– حتى نهاية سورة الرحمن"[١]، وهدفت الدراسة إلى بيان أهمية علم المناسبات والفواصل في السياق القرآني من خلال التفسير، وإبراز الوحدة الموضوعية للسورة.

تلتقي دراستي مع هذه الدراسة في بيان المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها، إلا أنها تطرقت للموضوع بشكل موجز دون تحليل موسع في ذلك.

٢. دراسة مليسي، بعنوان "التناسق الموضوعي في سورة الفتح "(٢)، وهدفت الدراسة إلى بيان التناسق الموضوعي في آيات السورة بحيث يبرز اللحمة المتينة والبناء المحكم بين أجزائها وهذا يعين على فهم مقاصدها ، وتوصل الباحث الى أن سورة الفتح، تتحدث عن موضوع واحد لكنه مستمر ومتجدد، وأن كل ما جاء فيها من صلح الحديبية وفتح مكة ونصر للمسلمين سمي فتحا

تلتقي دراستي مع هذه الدراسة في بيان التناسق الموضوعي في سورة الفتح وأن مواضيعها المتفرقة تصب في النهاية في موضوع واحد وهو صلح الحديبية. وفي بيان التناسب بين الفاصلة القرآنية وسياقها، إلا أنه عرض لذلك بصورة يسيرة لم يتوسع فيها ليشمل كل الجوانب.

٣– دراسة حجو، بعنوان "سورة الفتح دراسة تحليلية وموضوعية "[٣]، وهدفت الدراسة الى معرفة سياسة النبي – صلى الله عليه وسلم – في السلم والحرب ، وابراز الوحدة الموضوعية في السورة ، والربط بين جوانب السورة واظهارها كوحدة واحدة من خلال التفسير الموضوعي .

---

[١] أبو عون، نمر محمد، ١٤٣١هـ، **المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها دراسة تطبيقية على سورة محمد –صلى الله عليه وسلم– حتى نهاية سورة الرحمن**،(رسالة ماجستير منشورة)، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية– غزة.

[٢] مليسي، ابراهيم بن محمد ، ١٤٣٤هـ ،**التناسق الموضوعي في سورة الفتح** ،(رسالة ماجستير منشورة)، كلية الدعوة وأصول الدين ،جامعة أم القرى ،المملكة العربية السعودية.

[٢] حجو، رحمة فرج، ١٤٣٣، **سورة الفتح**، (رسالة ماجستير منشورة)، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتتفق دراستي مه هذه الدراسة بإبراز الوحدة الموضوعية لسورة الفتح.

وتختلف دراستي عن الدراسات السابقة بأنها متخصصة في إظهار الإعجاز في تناسب الفاصلة مع سياقها ومقطعها وموضوعات السورة، بشكل موسع ليشمل كل جوانب الترابط، من حيث المعنى والموقع الإعرابي، وصفات الحروف، وأحكام التجويد وأثر ذلك كله في إظهار الإعجاز، فدراستي أخصُّ وأعمق.

المنهجية:

انسجاماً مع موضوع الدراسة تتبعت المنهج الوصفي، وذلك بجمع المعلومات الخاصة بالدراسة من مظانِّها، والتحليلي وذلك من خلال الآتي:

١. دراسة آيات سورة الفتح كل في مقطعها وفق المنهج التحليلي، وربط المعاني المحتملة بفاصلة الآيات .

٢. الكشف عن الموضوعات التي ذكرتها السورة، وبيان صلة الفاصلة بالموضوع الذي تصل الباحثة إليه .

٣. الإشارة إلى دلائل الإعجاز النَّسقي للفاصلة القرآنية في السورة الكريمة، وبيان بديع النظم القرآني فيها .

خطة الدراسة :

تتكون الدراسة من تمهيد وثلاثة فصول :

التمهيد : التعريف بالإعجاز النَّسَقي ، والفاصلةِ القرآنيةِ ، وسورةِ الفتح .

المبحث الأول: بيان مفهوم الإعجاز النَّسَقي لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: بيان مفهوم الفاصلة القرآنية وأنواعها وطرق معرفتها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث :بيان اسم السورة ومتعلقاتها.

الفصل الأول: الانسجام والتناسب بين الفاصلة القرآنية وسياقها في النصف الأول من سورة الفتح.

المبحث الأول: المِنّحُ الإلهية للنبي – صلى الله عليه وسلم –.

المبحث الثاني: بشائر الله تعالى للمؤمنين.

المبحث الثالث: جزاء المنافقين والمشركين.

المبحث الرابع: وظيفة النبي – صلى الله عليه وسلم – ووظيفة المؤمنين وبيعتهم.

المبحث الخامس: فضح المُخَلَّفين وبيان جزائهم.

الفصل الثاني: الانسجام والتناسب بين الفاصلة القرآنية وسياقها في النصف الثاني من سورة الفتح.

المبحث الأول: جزاء الوفاء بعهد الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم – .

المبحث الثاني: البشارة بتحقيق رؤيا الرسول – صلى الله عليه وسلم –.

المبحث الثالث: التكريم الإلهي لأصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – .

الفصل الثالث: أوجه التناسق بين الفاصلة القرآنية وموضوعات سورة الفتح.

المبحث الأول: مناسبة الفاصلة القرآنية لمواطن المنَّة والفضل من الله تعالى على نبيه – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين وذكر صفاتهم.

المبحث الثاني: مناسبة الفاصلة القرآنية لمواطن التخلُّف عن نصرة الدين وفضح المخلفين والمنافقين.

المبحث الثالث: مناسبة الفاصلة القرآنية لمواطن البَيْعة والتَّمكين في الأرض.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التمهيد: التعريف بالإعجاز النّسقي والفاصلة القرآنية وسورة الفتح.

المطلب الأول: بيان مفهوم الإعجاز النّسقي لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: بيان مفهوم الفاصلة القرآنية وأنواعها وطرق معرفتها.

المطلب الثالث: بيان اسم السورة ومتعلقاتها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: بيان مفهوم الإعجاز النَّسَقي لغة واصطلاحاً.

الإعجاز النسقي مركب إضافي من كلمتي (الإعجاز والنَّسَق)، سأبين مفهوم كل منهما لغة واصطلاحاً؛ للتوصل إلى دلالة التركيب.

الإعجازُ لغةً :

من عَجِزَ عَنِ الشَّيْءِ يَعْجِزُ عَجْزًا، فَهُوَ عَاجِزٌ، أَيْ ضَعِيفٌ.[١]

والعَجْز: نقيضُ الحَزْم، عَجَزَعن الأمر يَعْجَزُ، وعَجِز عَجْزاً فيهما؛ وَرَجُلٌ عَجِزَ وَعَجُز: عَاجِزٌ. ومَرَةٌ عاجِزٌ: عاجِزَةٌ. ويُقال: أَعْجَزْتُ فُلاناً إذا أَلفَيْتُهُ عاجِزاً. والعَجْز: الضَّعفُ، تقول :عَجَزْتُ عن كَذا أَعْجِز، والمَعْجِزَةُ بفتحِ الجيمِ وكسرها، مفعلةٌ من العَجْز: عدمُ القُدرةِ، وقدْ يكون أيضاً من العَجْز، ويقال : عَجَزَ يَعْجِزُ عن الأمر إذا قَصَّرَ عنهُ . والمُعْجِزَةُ : واحِدَةُ مُعْجِزات الأنبياءِ عليهم السلام.[٢]

وبعد هذا العرض خلُصت إلى أن المعنى اللغوي لكلمة عَجِزَ تدور حول: الضَّعف وعدم القدرة والتقصير.

الإعجازُ اصطلاحاً :

تباينت عبارات العلماء الذين اعتنوا بهذا، ولكنها كلها تصبُّ في المعنى نفسه وهي على النحو الآتي:

---

[١] ابن فارس، احمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة** ،كتاب العين ، باب العين والجيم وما يثلثهما ،تمادة (عجز)،تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ،دار الفكر، د.م، د.ط، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م، ج٤ ص٢٣٢.

[٢] ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، كتاب الزاي، باب العين المهملة، مادة(عجز)، دار صادر- بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ، ج٥، ص٣٦٩-٣٧٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١. قال الخطَّابي: هو عجز القوى البشرية عن الإتيان بمثله، وانقطاعهم دونه.[١]

٢. وعرفه الرافعي قائلاً: "إنما الإعجازُ شيئان : ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعْجزة ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته، ثمَ استمرار هذا الضعف على تراضي الزمن وتقدمه ؛ فكأن العالم كله في العجز إنسان واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت.[٢]

٣. وقال الرومي: "هو عجز المخاطبين بالقرآن وقت نزوله ومن بعدهم إلى يوم القيامة من الإتيان بمثل هذا القرآن مع تمكنهم من البيان وتمكنهم لأسباب الفصاحة والبلاغة وتوفر الدواعي واستمرار البواعث.[٣]

وأتبنى تعريف الخطَّابي في دراستي؛ لشموله وإيجازه وإيفائه المعنى المطلوب.

النسق لغة واصطلاحاً.

النَّسَقُ لغةً:

أصله من نَسَقَ: النونُ والسين والقاف أصلٌ صحيح يدل على تتابعٍ في الشيء، وكلامٌ نَسَقٌ : جاءَ على نظامٍ واحد قدْ عُطِفَ بعضه غلى بعض، وأصلهُ قولهم : ثَغْرٌ نَسَقٌ، إذا كانت الأسنانُ متناسقة.[٥]

والنَّسَقُ من كل شيء: ما كان على طريقة نظام واحد عام في الأشياء. وقد نَسَّقْتُهُ تَنْسِيقاً.

ويخفف ابن سيده: نَسَقَ الشيء يَنْسُقهُ نَسْقاً . ونَسَّقَهُ نَظَّمَهُ على السواء، وانْتَسَقَ هو وتَناسَق.

---

[١] الخطابي، حمد بن محمد، **بيان إعجاز القرآن**، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف- مصر، ط٣، ١٩٧٦م، ص٢٨.بتصرف.

[٢] الرافعي، مصطفى صادق **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، ،دار الكتاب العربي- بيروت، ،ط٨، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م، ص٩٨.

[٣] الرومي، فهد بن عبد الرحمن، **دراسات في علوم القرآن**، ط١٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣، ص٢٦٣.

[٥] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، كتاب النون، باب النون والسين وما يثلثهما، مادة(نَسَقَ)، ج٥،ص٤٢٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والاسم النَّسَقُ. وقد انتَسَقَتْ هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تنَسَّقَتْ. والنَّسَقُ: كواكب مصطفَّةٌ خلف الثريا. ويقال: رأيت نَسَقاً من الرجال والمتاع، أي بعضها إلى جنب بعض. والنَّسْقُ بالتسكين: مصدرُ نَسَقْتُ الكلام إذا عطفْتُ بعضه على بعض، ويقال نسقْتُ بين الشيئين وناسقت.[١]

وعلى هذا فإن المعنى اللغوي لكلمة نَسَقَ يدور حول الآتي: تعاطف الأشياء بعضها على بعض، جنباً إلى جنب، وترتيبها على نظام واحد.

النَّسَقُ في استخدامات المفسرين

جاءت كلمةَ نَسَق في كلام المفسرين على معنيين:

- أولهما: بمعنى العطف، وممن قال بهذا من المفسرين:

١-الزمخشري في تفسير قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾(البقرة:٢)، قال:" قد أُصيبت بترتيبها مِفْصَلُ البلاغةِ ومُوجِبُ حسنِ النظم، حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نَسْقٍ..."[٢]

٢- الرازي في تفسيره لقوله تعالى:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾. (البقرة:٢٨٦)، قال:" قوله لا يكلف الله نفساً إلا وُسعها يحتمل أن يكون ابتداء خبر عن الله، ويحتمل أن يكون حكاية عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين على نَسَقِ الكلام في قوله تعالى:﴿ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا ﴾ ".[٣]

---

[١] ابن منظور، **لسان العرب**، كتاب القاف، باب النون، مادة(نَسَقَ)، ص٣٥٢-٣٥٣.

[٢] الزمخشري، محمود بن عمرو، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي- بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، ج١ص٣٧.

[٣] الرازي، محمد بن عمر ،**مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، ج٧، ص١٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- أبو حيان في تفسير قوله تعالى:﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾. (البقرة:٢٥٩)، قال:" وتكرر الأمر بالنظر إلى الطعام والشراب في الثلاث الخوارق، ولم ينَّسق نَسَقَ المفردات؛ لأن كل واحدة منها خارق عظيم."[١]

- ثانيهما: بمعنى طريقة الترتيب، وممن قال به:

١- ابن عاشور في تفسير قوله تعالى:﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ . (البقر:٧٦)، قال:" الأظهر أن الضمير في لقوا عائد على بني إسرائيل على نَسَقِ الضمائر السابقة في قوله تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ ﴾.(البقرة:٧٥).[٢]

٢- عبد الكريم الخطيب في تفسير قوله تعالى:﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة:٤٨)،وقوله:﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (البقرة:١٢٣)، في هاتين الآيتين نظرٌ، حيث اختلف نظمهما على حين كان ينتظر- في ظاهر الأمر-أن يجيئا على نَسَقٍ واحد، ولكن للنظم القرآني ولإعجاز هذا النظم جاء هذا الاختلاف".[٣]

---

[١] أبو حيان، محمد بن يوسف، **البحر المحيط**،، دار الفكر-بيروت، تحقيق: صدقي محمد جميل، د.ط، ١٤٢٠هـ،،ج٢، ص٦٣٩.

[٢] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، الدار التونسية للنشر-تونس، د.ط،١٩٨٤هـ، ج١،ص٥٦٩.

[٣] الخطيب، عبد الكريم يونس، **التفسير القرآني للقرآن**، ،دار الفكر العربي -القاهرة، ، د.ط، د.ت، ج١،ص١٣٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- سيد قطب يتحدث عن أثر العقيدة الإسلامية في النفوس قال: "حتى كأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد أمسك بهذه النفوس فهزها هزةً نفضت عنها كل رواسبها وأعادت تأليف ذراتها على نَسَقٍ جديد، كما تصنع الهزة الكهربائية في تأليف ذرات الأجسام على نَسَقٍ آخر غير الذي كان"، وقال عن أهل مدين:" وتجري القصة على نَسَقِ قصة هود مع عاد وقصة صالح مع ثمود."[١]

٤- الشعراوي عند حديثه عن إعجاز القرآن الكريم قال:" والقرآن لا يؤخذ على نَسَقٍ واحد حتى نتنبه ونحن نتلوه ونكتبه، لذلك تجد مثلاً(بسم الله الرحمن الرحيم)مكتوبة بدون ألف بين الباء والسين ، ومرة تجدها مكتوبة بالألف في قوله تعالى:﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾(العلق: ١).[٢]

وبعد عرض المفهوم اللغوي للنَّسق واستخدامات العلماء له تبين لي ما يأتي:

أنَّ النَسَق يعني: حسن الترتيب والتنظيم والترابط بين الأشياء؛ لتشكل وحدة واحدة متآلفة متلائمة في كل تفاصيلها وتراكيبها على نظام واحد لا عيب فيه ولا خلل.

وقد بينت سابقاً أن الإعجاز: هو العجز والضعف وعدم القدرة على الإتيان بمثل الشيء المُعجِز .

فيكون المقصود بالإعجاز النَّسَقي هو: عجز الخلق عن الإتيان بمثل القرآن في ترتيبه ووحدة مقاطعه، وتتابع معانيه وترابطها في حلقات يتصل بعضها ببعض.

وعلى هذا يكون مفهوم الإعجاز النَّسَقي للفاصلة القرآنية هو: عجز البليغ عن الإتيان بمثل الفواصل القرآنية في نظمها، ومناسبتها لسياقها.

---

[١] الشاذلي، سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، د.م، ط٩، ١٤٤٠هـ -١٩٨٠م،المجلد١،ج١،ص١٤٩.

[٢] الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، مطابع أخبار اليوم، د.م، د.ط، د.ت، ج١ص١٠٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: بيان مفهوم الفاصلة القرآنية وأنواعها وطرق معرفتها.

الفاصلة لغة :

الفَصلُ: بَوْنُ ما بين الشَّيئينِ. والفَصْلُ من الجَسَد: موضِعُ المَفْصِل.[١] والفَصْلُ: الحاجِزُ بين الشَّيْئَيْنِ، والفاصِلَةُ: الخَرَزَةُ تَفْصِلُ بين الخَرَزَتَيْنِ في النِّظامِ.[٢]

وخلاصة المعنى اللغوي أنه يدور حول: الشيء الذي يفصل بين الشيئين.

الفاصلة اصطلاحاً:

تباينت عبارات العلماء في تحديد معنى الفاصلة، فكان منها ما قاله الرُّمَّاني: "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني."[٣]

فيما تشابهت عبارات الزركشي، وأبي عمرو الداني[١]، والراغب الأصفهاني[٢]، فدارت جميعها حول التعريف القائل بأن الفاصلة هي:" كلمة آخر الآية"

---

[١] الفراهيدي، الخليل بن احمد، **العين**، باب الصاد واللام والفاء معهما، مادة(فصل)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.م، د.ط، د.ت، ج٧، ص١٢٥.

[٢] الفيروزآبادى، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، باب اللام، فصل الفاء، مادة(فصل)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م، ج١ص١٠٤٢.

[٣] الرماني، علي بن عيسى، **النكت في إعجاز القرآن**، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول، دار المعارف– مصر، ط٣، ص١٩٧٦م، ص٩٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وممَّن عرَّفه من العلماء المحدثين مناع القطان حيث قال:" الكلام المنفصل مما بعده، وقد يكون رأس آية وقد لا يكون، وقد تقع الفاصلة عند نهاية المقطع الخطابي، سميت بذلك لأن الكلام ينفصل عندها."[٣]

وممن عرَّفه كذلك فضل عباس، وقد التقى تعريفه مع ما ذكره الزركشي وغيره حيث قال:" هي تلك الكلمة التي ختمت بها الآية القرآنية."[٤]

وأرى أن تعريف الرماني هو الأقرب إلى الفهم وهو الذي سأعتمده في دراستي؛ للاعتبارات الآتية:

عند قوله (حروف)، قصد الحروف أو الكلمات؛ لأن حرف كل شئ: طَرَفُه وشَفِيرُهُ وحَدُّهُ[٥]، فهو غير محدد، وهذا يشمل الكلمة والكلمات، وهذا ما يتناسب مع الفهم الصحيح للفاصلة، فهي قد تكون كلمة، أو كلمات.

---

[١] الزركشي، محمد بن عبد الرحمن، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، د. م، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧، ط١ص٩٧.

[٢] الأصفهاني، الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية- دمشق، بيروت، ط١١٤١٢هـ، ص٦٨٣.

[٣] القطان، مناع بن خليل، **مباحث في علوم القرآن**، مكتبة المعارف، د.م، ط٣، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص١٥٣.

[٤] عباس، فضل حسن، **اعجاز القران**، جامعة القدس المفتوحة، عمان-الاردن، ط٢، ١٩٩٧، ص٢١٤.

[٥] الفارابي، إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**،باب الفاء، فصل الحاء، مادة(حرف)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت،ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، ج٤، ص١٤٣٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقوله :متشاكلة، الشِّينُ وَالْكَافُ وَاللَّامُ مُعْظَمُ بَابِهِ الْمُمَاثَلَةُ، ويُقَالُ أَمْرٌ مُشْتَبِهٌ[١]، فجمع بهذا المتماثل والمتجانس والمتقارب.

وقوله: مقاطع الآيات: ومَقاطِعُ الأوديةِ: مآخيرها حَيْثُ تَنْقَطِعُ[٢]، أي: آخر الآيات.

أما قوله توجب حسن إفهام المعاني: ففيه إظهار للعلاقة بين الفاصلة والمعنى والنفس، فارتباط الفاصلة بالمعنى وتعبيرها عنه (دون تكلف)، يجعل لها وقعاً في النفس، وقوة تأثيرها في النفس، تحرك الذهن والخيال لفهم المعنى، فقد بيَّن الأثر النفسي للفاصلة، وشدة ارتباطها في المعنى؛ حيث جعلها من البلاغة.[٣]

أنواع الفواصل:

إن تقسيم الفواصل يتغاير بتغاير حيثيات القسمة، فباعتبار ارتباطها بما قبلها تنقسم إلى أربعة اقسام وهي كالآتي:

---

[١] ابن فارس، أحمد بن فارس ، **معجم مقاييس اللغة**، كتاب الشين، باب الشين والكاف واللام، مادة(شكل)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.م، د.ط، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ج٣، ص٢٠٤.

[٢] الزَّبيدي (الملقّب بمرتضى)،محمد بن محمد، **تاج العروس من جواهر القاموس**، مادة(قطع)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.م، د.ط، د.ت، ج٢٢، ص٣٣.

[٣] الحمداني، عبد القادر عبد الله، **البلاغة القرآنية في نكت الرماني**، د.د، د.م، ط١ ،١٤٣٥هـ-٢٠١٤م، ص٢٥١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١-**التمكين:** ويسمى(ائتلاف القافية)

وهو أن يُمَهَّد للفاصلة قبلها تمهيداً تأتي به الفاصلة ممكَّنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في مواضعها غير نافرة ولا قلقة، متعلقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تاماً، بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ (هود:٨٧)، فإنه كما تقدم في الآية ذكر العبادة وتلاه ذكر التصرف في الأموال اقتضى ذلك ذكر الحلم والرشد على الترتيب لأن الحلم يناسب العبادات والرشد يناسب الأموال.[١]

وفي قوله تعالى:﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ فقد تقدم في الآية ادخال المؤمنين الجنة وتكفير سيئاتهم، فاقتضى ذلك الختم بالفوز العظيم.

٢-**التصدير:**

وهو أن تكون تلك اللفظة بعينها تقدمت في أَوَّل الآية، وتسمى أيضاً ردَّ العَجْزِ على الصَّدر.

قال ابن المعتز: هو ثلاثة أقسام :

أ- أن يوافق آخر الفاصلة آخر كلمة في الصدر نحوقوله تعالى:﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾(النساء:١٦٦).

---

[١] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج١ص٧٩، والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.م، د.ط، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ج٣، ص٣٤٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب- أن يوافق أول كلمة منه نحوقوله تعالى:﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ (آل عمران:٨)

ج-أن يوافق بعض كلماته نحوقوله تعالى:﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الإسراء:٢١).[١]

ويظهر في قوله تعالى:﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾

٣-التوشيح:

وهو أن يكون في أول الكلام ما يستلزم القافية والفرق بينه وبين التصدير أن هذا دلالته معنوية وذاك لفظية كقوله تعالى:﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (يس:٣٧)، فإن من كان حافظاً لهذه السورة متفطّناً إلى أن مقاطع آيها النون المُردَفة، وسمع في صدر الآية انسلاخ النهار من الليل علم أن الفاصلة (مظلمون)؛ لأن من انسلخ النهار عن ليله أظلم: أي دخل في الظلمة؛ ولذلك سمي توشيحاً؛ لأن الكلام لما دل أوله على آخره نزل بالمعنى منزلة الوشاح، ونزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكَشْحِ[٢]، اللذين يحول عليهما الوشاح.[٣]

٤-الإيغال:

وسمِّي بالإيغال؛ لأن المتكلم قد تجاوز المعنى الذي هو آخذ فيه وبلغ إلى زيادة على الحد، والمتكلم إذا أتمَّ معناه ثم تعدَّاه بزيادة فيه فقد أوغل. مثل قوله تعالى:﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(المائدة:٥٠)، فإن الكلام تم بقوله تعالى:﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ

---

[١] السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج٣، ص٣٥٤.

[٢] الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي. الرازي، محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، مادة(كشح)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية-الدار النموذجية، بيروت- صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ص٥٠٣.

[٣] ينظر الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج١ص٩٤. و **السيوطي، الإتقان في علوم القرآن**، ج٣، ص٣٥٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿حُكْمًا﴾، ثم احتاج إلى فاصلة تناسب القرينة الأولى فلما أتى بها أفاد معنى زائداً.[١] وهو أن هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون، فإنهم الذين يتيقنون أن لا أعدل من الله ولا أحسن حكما منه.[٢]

أمَّا باعتبار الوزن والتقفية فتنقسم إلى خمسة أقسام وهي كالآتي:

والوزن: ما بنَت عليه العربُ أشعَارَها[٣]، وقافية كل شيء: آخره، ومنه قافية بيت الشعر.[٤]

١. **المطَّرف:** أن تختلف الفاصلتان في الوزن، وتتفقا في الحروف الأخيرة مثل قوله تعالى:﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾(نوح:١٣-١٤)، فوقاراً وأطواراً، تختلفان في الوزن، وتتفقان في التقفية.

٢. **المتوازي:** أن تتفق الفاصلتان وزناً وتقفيةً ولم يكن ما في الأولى مقابلاً لما في الثانية في الوزن والتقفية مثل قوله قوله تعالى:﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾(الغاشية:١٣-١٤)، فمرفوعة وموضوعة تتفقان في الوزن والقافية.

٣. **المتوازن:** أن تتفقا في الوزن دون التقفية مثل قوله تعالى:﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ (الغاشية:١٥-١٦)، فمصفوفة ومبثوثة تتفقان في الوزن، وتختلفان في القافية.

---

[١] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج١ص٩٦.

[٢] ا الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج١ص٦٤٢.

[٣] ابن منظور، **لسان العرب**، حرف النون، فصل الواو، مادة(وزن)، ج١٣، ص٤٤٨.

[٤] **المصدر السابق**، حرف الياء، فصل القاف، مادة(قفي)، ج١٥، ص١٩٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤. **المرصَّع:** أن تتفقا وزناً وتقفيةً ويكون ما في الأولى مقابلاً لما في الثانية مثل قوله تعالى:﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ (الغاشية:٢٥-٢٦)، فالفاصلتان اتفقتا في الوزن والتقفية، وما في الأولى مقابل لما في الثانية.

٥. **المتماثل** : أن يتساويا في الوزن دون التقفية، وتكون أفراد الأولى مقابلة لما في الثانية مثل[١] قوله تعالى:﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ۝١١٧ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الصافات:١١٧-١١٨).

وباعتبار حرف الروي فتنقسم إلى قسمين وهما كالآتي:

١.المتماثلة: وهي التي تماثلت حروف رويِّها مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴾(الطور:١-٢).

٢.المتقاربة: وهي التي تقاربت حروف رويِّها كتقارب الدال والباء في قوله تعالى:﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾(ق:١ ٢).[٢]

معرفة الفواصل

يمكن الوقوف على الفاصلة القرآنية بطريقين :

١- **التوقيفي** : وهوما ثبت عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – فما وقف عليه دائماً تحققنا أنه فاصلة، وما وصله دائماً تحققنا أنه ليس بفاصلة. وما وقف عليه مرة ووصله أخرى، احتمل الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة، أو لتعريف الوقف التام، أو للاستراحة، والوصل أن يكون غير فاصلة، أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها. لما روته أم سلمة– رضي الله عنها– عندما سئلت عن قراءة الرسول – صلى الله عليه وسلم – حيث قالت:" كان رسول

---

[١] السيوطي، **الاتقان في علوم القرآن**، ج٣، ص٣٥٦.

[٢] **المصدر السابق**، ج٣، ص٣٥٩-٣٦٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله – صلى الله عليه وسلم – يُقَطِّع قراءَته يقرأ:﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾، ثم يقف،﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾، ثم يقف، وكان يقرؤها﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾.[1] ومعنى (يقطِّع): يقرؤها آية آية.

٢-**القياسي** : وهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسب، ولا محذور في ذلك لأنه لا زيادة ولا نقصان، وإنما غايته أنه محل فصل ووصل، والوقف على كل كلمة جائز ووصل القرآن كله جائز.[2]

وقد ذكر العلماء بعض الطرق لمعرفة الفواصل منها:

١.مساواة الآية لما قبلها وما بعدها طولاً وقصراً: وذلك مثل إجماع العلماء أن (لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِ) في قوله تعالى:﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ﴾(طه:١١١)، ليست فاصلة، مع أنهم عدوها فاصلة في أول سورة آل عمران، والسبب عدم مساواتها لما قبلها﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾، ولا لما بعدها ﴿وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ﴾.

٢.مشاكلة الفاصلة لآيات السورة في الحرف الاخير أو ما قبله: مثل قوله تعالى:﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرٗا﴾(النساء:١٣٣)، فالعلماء لم يعدوا (وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَ) فاصلة؛ لعدم تشاكل طرفها مع طرف الآية التي قبلها وهي قوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي

---

[1] الترمذي، محمد بن عيسى، **الجامع الكبير** ، أبواب القراءات، باب في فاتحة الكتاب، رقم(٢٩٢٧)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، د.ط، ١٩٩٨م، ج٥، ص٣٥.

[2] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج١ص٩٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (النساء: ١٣٢)، وإنما عدوا قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴾ فاصلة لتشاكل الطرفين.

٣.انقطاع الكلام: وهو أن كل كلمة مشتملة على حرف المد وقعت بعد كلمة أخرى مشتملة على حرف مد وصلح كل منهما أن يكون فاصلة، فالفاصلة هي الكلمة الثانية كما في (عليم حكيم)، و(حكيم عليم) وهكذا.[١]

ولعل الأولى والأفضل هو الاعتماد على الطريقة التوقيفية في معرفة الفواصل؛ لورود الدليل عليه أولاً، ولأن القول بالقياس يفتقد إلى الدقة والضبط، مما قد يسبب إشكالات في تحديد الفاصلة القرآنية.

فالفاصلة القرآنية فيها من القيم المعنوية واللفظية ما يبرز لنا وجهاً من وجوه الإعجاز البياني، وتتميز الفاصلة في سورة الفتح بأنها كلها جاءت على نسق واحد، فقد جاءت مختومة بحرف الياء ثم حرف ثم الألف المدية، ما عدا كلمة(بورا) فقد جاءت فيها الواو بدلاً عن الياء؛ لحكمة ستظهر في موضعها إن شاء الله تعالى.

ولم يأت هذا الترتيب عبثاً، بل فيه من الدلالات والإشارت ما يثبت اعجاز الفاصلة القرآنية ومناسبتها لسياقها، ومقطع الآيات التي جاءت بها، وكذلك لموضوعات السورة الكريمة.

فالسورة الكريمة جاءت بالبشارة بالفتح المبين، وواست حال المؤمنين الذين أصابهم الحزن بعد صلح الحديبية، فناسب ذلك مجيء حرف الياء، وهو ضعيف في معظم صفاته، ففيه دلالة الانكسار والضعف؛ وهو ما كان عليه حال المؤمنين قبل الفتح، ثم جاءت الحروف المختلفة؛

---

[١] النقيب، محمد حسين، **الفاصلة في السياق القرآني(سورة مريم أنموذجاً)**،بحث، اليمن.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للدلالة على الأحوال التي سيمر بها المؤمنون قبل حصولهم على الفتح والتمكين، وبعد ذلك ختمت بالألف المدية التي تطول المدة الزمنية عند النطق بها، وفي هذا إشارة إلى مدى الفرح والفخر الَّذين شعر بهما النبي – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنون.

المطلب الثالث: بيان اسم السورة ومتعلقاتها.

اسمها:

عُرِفَت سورة الفتح بهذا الاسم في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم –، وكذلك في كلام الصحابة رضوان الله تعالى عليهم. روى الإمام البخاري في صحيحه عن معاوية بن قرة عن عبد الله بن مغفل أنه قال:" قرأ النبي – صلى الله عليه وسلم – يوم فتح مكة، سورة الفتح فرجّع[١] فيها ". قال معاوية: لو شئت أن أحكي لكم قراءة النبي – صلى الله عليه وسلم – لفعلت."[٢]

وسماها بعض الصحابة بالآية الأولى فيها: جاء في المصنف للصنعاني عن أبي برزة[٣]:"أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قرأ في الصبح ب :﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾."[٤]

---

[١] فرجَّع: من ترجيع الصوت: ترديده في الحلق، كقراءة الألحان. الرازي، **مختار الصحاح**، باب الراء، مادة(رجع)، ص١١٨.

[٢] البخاري، محمد بن اسماعيل، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أيام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسننه وأيامه**، كتاب تفسير القران، باب {انا فتحنا لك فتحا مبينا}،رقم٤٨٥٣،تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، د.م، ط١، ١٤٢٢هـ،ج٦،ص١٣٥.

[٣] اسمه نضلة بْن عَبْد الله، أسلم قديمًا وَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ – – صلى الله عليع وسلم – – فتح مكّة، وظل يغزو مع النبي – صلى الله عليع وسلم – حتى قبض، كان يكثر الصدقات على اليتامى والأرامل والمساكين، انظر ، ابن سعد، محمد بن سعد، **الطبقات الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م،ج٤،ص٢٢٤.

[٤] الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، **المصنف**، تحقيق:حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، ط٢، ١٤٠٣هـ،ج٢،ص١١٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سبب تسميتها:

سبب تسميتها بالفتح هو افتتاحها بقوله تعالى: :﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾، و ما تضمنته من حكاية الفتح الذي منحه الله تعالى للنبي ، وللمؤمنين.[١]

عدد آياتها ومكان نزولها:

هي سورة مدنية وعدد آياتها تسع وعشرون آية. ونزلت السورة الكريمة في الطريق بين مكة والمدينة مُنصَرفِه من الحديبية[٢]، وجاء في ذلك الكثير من الآثار، منها ما جاء عن قتادة أن أنس بن مالك حدثهم قال:" لما نزلت:﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ (الفتح:١٢) إلى قوله تعالى:﴿ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(الفتح:٥)، مرجعه من الحديبية، وهم يخالطهم الحزن والكآبة، وقد نحر الهدي بالحديبية، فقال: لقد أنزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا جميعا"[٣]

---

[١] ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**،ج٢٥، ص١٤١.

[٢] ينظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام **السيرة النبوية** ، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م، ج٢، ص٣٢٠.
والداني، عثمان بن سعيد، **البيان في عدّ آي القرآن**، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث – الكويت، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م. والزمخشري،**الكشاف** ، ج٥،ص٢. والقرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، ، دار عالم الكتاب، الرياض، د.ط، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، ج٥١، ص٢٥٩
وابن عطية ،محمد بن عبد الحق، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: المجلس العلمي بتارودانت، د.م، د.ن، د.ط، ١٤١١هـ-١٩٩١م،ج١٥،ص٨٤. والألوسي، شهاب الدين السيد محمود، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان، د.ط، د.ت، ج٢٦،ص٨٣.

[٣] النيسابوري، مسلم بن الحجاج، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم** –، كتاب الجهاد والسير ، باب صلح الحديبية في الحديبية ، رقم(١٧٨٦)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ط، د.ت، ج٣، ص١٤١٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وما جاء في سيرة ابن هشام عن الزهري أنه قال في حديثه:" ثم انصرف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من وجهه ذلك قافلا، حتى إذا كان بين مكة والمدينة، نزلت سورة الفتح"[١]

فضلها :

ظهر فضل السورة في أنها أحب إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – مما طلعت عليه الشمس؛ لما جاء فيها من البشارات والمنح الإلهية للنبي – صلى الله عليه وسلم –، فجاء في البخاري عن زيد بن أسلم، عن أبيه:" أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يسير في بعض أسفاره، وعمر بن الخطاب يسير معه ليلا، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر بن الخطاب: ثكلتك أم عمر، نزرت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثلاث مرات، كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس، وخشيت أن ينزل في قرآن، فما نشبت أن سمعت صارخا يصرخ بي، فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن، فجئت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فسلمت عليه فقال: لقد أنزلت علي الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾" [٢]

ومن فضلها أنَّها طيبت خاطر المؤمنين، فعن أبي وائل قال: "قام سهل بن حنيف يوم صفين، فقال: أيها الناس، اتهموا أنفسكم، لقد كنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوم الحديبية ولو نرى قتالا لقاتلنا، وذلك في الصلح الذي كان بين رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

---

[١] ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٢، ص٣٢٠.

[٢] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، باب قزله تعالى(انا فتحنا لك فتحا مبينا)، رقم(٨٤٣٣)، ج٦، ص١٣٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبين المشركين، فجاء عمر بن الخطاب، فأتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فقال: يا رسول الله، ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: «بلى»، قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: «بلى»، قال: ففيمَ نعطي الدنيَّة في ديننا ونرجع ولمَّا يحكم الله بيننا وبينهم؟! فقال: يا ابن الخطاب، إني رسول الله ولن يضيعني الله أبدا، قال: فانطلق عمر فلم يصبر متغيِّظا، فأتى أبا بكر، فقال: يا أبا بكر ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: بلى، قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنيَّة في ديننا، ونرجع ولمَّا يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: يا ابن الخطاب، إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبدا، قال: فنزل القرآن على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالفتح، فأرسل إلى عمر، فأقرأه إياه، فقال: يا رسول الله، أو فتح هو؟! قال: «نعم»، فطابت نفسه ورجع.[1]

ومنه كذلك أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يقرؤها في الفتوحات، فقد روى البخاري عن عبد الله بن مغفل أنه قال: "رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوم فتح مكة وهو يقرأ على راحلته سورة الفتح"[2]

موضوعاتها :

تضمنت السورة الكريمة عدة موضوعات، فقد اشتملت على البشارة بالفتح المبين، وما ترتب عليه من حسن عاقبة للنبي – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين ، وجاء فيها بيان مكانة النبي – عليه الصلاة والسلام – عند ربه، ووعده بنصر متعاقب، كما اشتملت على الثناء على المؤمنين

---

[1] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، رقم(١٧٨٥)، ج٣، ١٤١١.

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب القراءة على الدابة، رقم(٥٠٣٤)، ج٦، ص١٦٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذين بايعوا النبي – صلى الله عليه وسلم –، وعزروه، وأن الله تعالى قدَّم مثلهم في التوراة والإنجيل، وكذلك جاء فيها فضح المخلَّفين والمنافقين، وبيان جزائهم في الدنيا والآخرة.[١]

سبب نزولها: نزلت السورة الكريمة بشأن صلح الحديبية، فقد جاء في أسباب النزول للواحدي عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم، قالا:" نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية، من أولها إلى آخرها".[٢]

وما جاء في صحيح مسلم من أن أنس بن مالك حدثهم قال:" لما نزلت:﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ (الفتح:١٢) إلى قوله تعالى:﴿ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(الفتح:٥)، مرجعه من الحديبية، وهم يخالطهم الحزن والكآبة، وقد نحر الهدي بالحديبية، فقال: لقد أنزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا جميعا"[٣]

---

[١] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢٥، ص١٤٢-١٤٣.

[٢] الواحدي، علي بن أحمد، **أسباب نزول القرآن**، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، : دار الكتب العلمية – بيروت، رقم(٧٤٦)، ط١,١٤١١هـ،ص٣٩٧. تعليق الواحدي: في إسناده محمد بن إسحاق وهو ثقة مدلس وقد عنعنه. وله شاهد عند الترمذي في التفسير (٣٢٦٣) من حديث أنس قال: نزلت على النبي – صلى الله عليه وسلم – ليغفر لك الله.... مرجعه من الحديبية وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وفيه عن مجمع بن جارية.

[٣] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الجهاد والسير ، باب صلح الحديبية في الحديبية ، رقم(١٧٨٦)،ج٣، ص١٤١٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول: الانسجام والتناسب بين الفاصلة القرآنية وسياقها في النصف الأول من سورة الفتح.

المبحث الأول: المِنّحُ الإلهية للنبي – صلى الله عليه وسلم –.

المبحث الثاني: بشائر الله تعالى للمؤمنين.

المبحث الثالث: جزاء المنافقين والمشركين.

المبحث الرابع: وظيفة النبي – صلى الله عليه وسلم – ووظيفة المؤمنين وبيعتهم.

المبحث الخامس: فضح المُخَلَّفين وبيان جزائهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول: المِنّحُ الإلهية للنبي – صلى الله عليه وسلم –.

افتتحت السورة الكريمة ببيان الفضل الإلهي على النبي – صلى الله عليه وسلم –، فبدأت بالمِنحَة الإلهية للنبي – صلى الله عليه وسلم – وهي الفتح المبين، وهذه تتمة لمِنَح ونعم كثيرة كان قد أنعم الله تعالى بها على نبيه عليه الصلاة والسلام من قبل، وقد ورد ذكرها في سورة الضحى، حيث ذكَّره بعدم نسيانه أو التخلي عنه، وأتبعها بالإيواء والهداية، وهنا أتم نعمه عليه بالفتح والمغفرة وزيادة الهداية والنصر والتمكين .

ويُظهر المقطع الأول من سورة الفتح هذه المنَح ببيانٍ تَظهر فيه جمالية التناسب والانسجام العجيبين بين معاني الآيات الكريمة والفواصل القرآنية، وفيه من أسرار النَّظم وترتيبه وتنسيقه ما يأخذ بالألباب .

قال تعالى:﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾(الفتح:١-٣).

اختلف المفسرون في تأويل الفتح الوارد في الآية الكريمة على أربعة أقوال:

أولها: صلح الحديبية[١]،

---

[١] الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، د.ط، د.ت، ج٢٦، ص٨١. ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج٢٥، ،ص٨٥. القرطبي، **الجامع لاحكام القرآن**، ج٢٥،ص٢٦١.البقاعي،ابراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، : دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت، ج١٨، ص٢٧٥.الألوسي، **روح المعاني** ج٢٦، ص٨٤. ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،ج٢٦،ص١٤٤. الشنقيطي،محمد الامين بن محمد، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، د.ط، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م، ج٧، ص٣٩٣. سيد قطب،**الظلال** ج١ص٣٣٠٦-٣٣٠٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيها: فتح مكة[١]، ثالثها: فتح خيبر[٢]، رابعها: الحُكم[٣].

وبعد استقراء الأقوال ودراستها ترجح عندي القول بأن المقصود بالفتح هنا هو صلح الحديبية للاعتبارات الآتية:

١.أنه قول جمهرة من الصحابة والتابعين، فقد قال به ابن عباس وأنس بن مالك والبراء بن عازب وجابر بن عبد الله، والزهري والشعبي.[٤] و جاء في البخاري عن أنس بن مالك أنه قال في قوله تعالى:﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾(الفتح:١)«الحديبية».[٥]

كما جاء في دلائل البيهقي عن البراء بن عازب أنه قال: تعدُّون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية، كنا مع النبي – صلى الله عليه وسلم – أربع عشرة مائة، والحديبية بئر فنزحناها، فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي – صلى الله عليه وسلم –، فأتاها فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء منها، فتوضأ، ثم مضمض ودعا، ثم صبه فيها، فتركها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا نحن وركائبنا.[٦]

---

[١] الزمخشري، **الكشاف**، ج٣، ص٢. الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٧، ص٧٧. ابو السعود،محمد بن محمد، **ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، دار احياء التراث العربي، بيروت–لبنان، د.ط، د.ت، ج٧، ص١٠٣.

[٢] قال به مجاهد والعوفي.ينظر: القرطبي، **الجامع لاحكام القرآن**، ج٢٦، ص٨٠.والألوسي، **روح المعاني**، ج٢٦، ص٨٥.

[٣] الطبري،محمد بن جرير، **جامع البيان**،ج٢٥، ص٨٠.

[٤] ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج٢٦، ص٨٤.والطبري، **جامع البيان**، ج٢٥، ص٨٣–٨٤.

[٥] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى(انا فتحنا لك فتحا مبينا)، رقم(٤٨٣٤)، ج٦، ص١٣٥.

[٦] البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، **دلائل النبوة**، باب ما ظهر في البئر التي دعا فيها رسول الله – صلى الله عليع وسلم – وهي الحديبية من دلالات النبوة ،تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، د.م، ط١٤٠٨١ هـ – ١٩٨٨م،ج٤، ص١١٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢..قول جمهور المفسرين، فبه قال الطبري، وابن عطية، والقرطبي، والبقاعي، والالوسي، وابن عاشور، والشنقيطي، وسيد قطب.[١]

٣.لأن الوعد الذي جاء في قوله تعالى:﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(الفتح:٢٧)، كان لفتح مكة، فلو حملنا الفتح الأول على فتح مكة لكان هذا تأكيداً للخبر، أمَّا إن حملنا الأول على صلح الحديبية فإنه سيكون تأسيساً، والتأسيس خير من التأكيد، وقد أشار إلى هذا الألوسي.[٢]

٤.لأن هذا المعنى هو الأقرب لسبب النزول، فقد ذكرت في حديث أنس أن الحزن والكآبة كانت قد أصابت المؤمنين بعد شروط الصلح، فأنزل الله تعالى هذه السورة لمواساة المؤمنين في حينه فبشرهم بأن هذا فتح مبين لكم، فلا تهنوا ولا تحزنوا، وهذا أولى من أن يبشرهم بما سيكون بعد عامين.

كما أنه جاء في حديث أبي وائل أنه لما جاء عمر وقال للنبي – صلى الله عليه وسلم – : أوفتح هو؟! قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: نعم، فطابت نفسه، ولأنها نزلت بعد الفتح كما ذكرت آنفاً.

---

[١] وثق سابقا عند القول الاول (صلح الحديبية).

[٢] الألوسي، **روح المعاني**،ج٢٦، ص٨٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥.لأن صلح الحديبية من أعظم الفتوح؛ لكونه كان سبباً لقوة المسلمين وازدياد عددهم، فقد كانوا يوم الصلح ألفاً وأربعمائة، ولما أراد النبي – صلى الله عليه وسلم – الخروج إلى مكة كان عددهم عشرة آلاف مقاتل، فقد روى البخاري عن جابر قال: "كنا يوم الحديبية ألفا وأربع مائة".[١]

كما روى عن ابن عباس أن النبي – صلى الله عليه وسلم – خرج في رمضان من المدينة ومعه عشرة آلاف، وذلك على رأس ثمان سنين ونصف من مقدمه المدينة، فسار هو ومن معه من المسلمين إلى مكة، يصوم ويصومون، حتى بلغ الكديد، وهو ماء بين عسفان، وقديد أفطر وأفطروا"[٢]

وبهذا يبعد أن يكون المقصود بالفتح فتح مكة، أو الحُكم، لبعدهما عن السياق ولما قدمت من الأدلة، أما القول بأنه فتح خيبر، فهو بعيد أيضاً؛ لأنه ستأتي البشارة به في قوله تعالى:﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (الفتح:١٨)، فلا يمكن أن يكون هذا فتح خيبر ثم يعدهم به قريباً.

فلما كان الفتح هو صلح الحديبية، وكان من أعظم الفتوح لِمَا ترتَّب عليه من اختلاط المشركين بالمسلمين، وسماع كلامهم، وتمكُّن الإسلام في قلوبهم، وازدياد عدد المسلمين، وظهور قوتهم وتمكينهم في الأرض، بعد الذي وجدوه في مكة من تعب ومشقة، وبعد الحزن الذي أصابهم بسبب رجوعهم دون أداء العمرة، وإحساسهم بالهزيمة والانكسار، وقول بعضهم: ما هذا بفتح!، فبعد هذا كله جاءت الآية الكريمة مبشرة بأن الله تعالى قد فتح لك يا محمد أنت والمؤمنين معك فتحاً مبيناً، وجاءت البشارة بحرف التوكيد المنسوب إلى الله جل جلاله (إنّا)، وكذلك بنسبة الفتح إلى

---

[١] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، باب قوله: {إذ يبايعونك تحت الشجرة}، رقم(٤٨٤٠)،ج٦، ص١٣٦.

[٢] **المصدر السابق**، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح في رمضان، رقم(٤٢٧٦)، ج٥، ص١٤٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عظمته بقوله(فَتَحْنَا)؛ للدلالة على عظمة الفتح المستمد من عظمة الله تعالى الذي أوقع هذا الفتح، وذلك لأنكم تستحقونه بسبب أخذكم بالأسباب وتوكُّلكُم على الله تعالى.[١] وكان من المناسب اختتامها بقوله تعالى: (فَتْحًا مُّبِينًا).

والفتح: النصرو الإظفار.[٢] وإزالة الغلق والإشكال وذلك ضربان: أحدهما: يدرك بالبصر كفتح الباب ونحوه، وكفتح القفل، والغلق، والمتاع. والثاني: يدرك بالبصيرة كفتح الهمّ، وهو إزالة الغمّ، وإزالة المستغلق من العلوم.[٣]

ومما يعطي هذه الكلمة إبداعاً وجمالاً أن حروفها كلها مهموسة، يجري النفس عند النطق بها، فترتسم في ذهن القارئ صورة حية لهذا الفتح، وكأنَّ المسلمين تنفَّسوا الصُّعداء بعد الظروف القاسية التي عاشوها في مكة المكرمة وحين الهجرة وما بعدها، كما أنها جاءت منونة والتنوين يُؤتَى به للتعظيم، وجاءت نكرة ليتسع خيال القارئ في تصور معناها.

ولم يكتف الله تعالى بهذا الوصف البديع كله ، بل زاده إبداعاً بمجيئها مفعولاً مطلقاً، وهذا الأخير يُؤتَى به لتأكيد معنى الفعل وبيان نوعه، وفي هذا دلالة واضحة على أن هذا الصلح لم يكن صلحاً عاديا، بل كان فتحاً مبيناً.

ويزداد جمالها جمالاً ورونقاً وبهاءً عند وصفها بالمبين، والمبين: من بَانَ، ويقال: بان كذا أي: انفصل وظهر ما كان مستتراً منه.[٤]

---

[١] ينظر: البقاعي، **نظم الدرر**، ج١٨، ص٢٧٤.

[٢] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، كتاب الفاء، باب الفاء والتاء وما يثلثهما،ج٤،ص٤٦٩.

[٣] الأصفهاني، ،**المفردات** ، كتاب الفاء ، مادة(فتح)،ص٦٢١.

[٤] الأصفهاني، ،**المفردات**،كتاب الباء، مادة(بان)،ص١٥٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهذا الفتح الكريم كان ظاهراً جلياً مقرراً في علم الله تعالى وعلم رسوله – صلى الله عليه وسلم –، وكان واضحاً في إظهار قوة المسلمين، ولا لبس فيه على أحد من أنك ظاهر به على جميع أهل الأرض. و جاءت حروف(مُّبِينًا) كلها مجهورة وفيها قوة اعتماد على المخرج عند النطق بها ، لتصور لنا حال الفتح بأنه قوي في وقعه على المسلمين والمشركين في آنٍ معاً، فكما كان سبباً في فرح المسلمين وشعورهم بالعزة والقوة والتمكين في الأرض، كان سبباً في هزيمة المشركين، وصغارهم، وانكسار شوكتهم.

وجاء هذا الوصف منوناً أيضاً للدلالة على عظمته ورفعة شأنه، كما جاءت كلمة الفتح مدغمة بالمبين، والادغام يعني الإدخال، فكأنهما متداخلان لا ينفصلان ، فلا بد للفتح الذي يأتي من عند الله تعالى بعد أخذكم للأسباب أن يكون واضحاً جلياً ظاهراً لا يخفى على أحد فضله وأهميته.

وهكذا تظهر المِنَحُ الإلهية على النبي – صلى الله عليه وسلم – في هذا الفتح المبين، حيث أنه كان فتحاً في الأرض، وفتحاً للمسلمين، وفتحاً للقلوب والنفوس، ومن الأحداث الحاسمة في السيرة النبوية، حيث ظهرت قوة المسلمين وعلا شأنهم وانتشرت أخبارهم، وصار يحسب لهم ألف حساب.

ومن هنا يبرز ارتباط الفاصلة القرآنية بالسيرة النبوية الشريفة، حيث إنها قررت بعضاً من هذه الأحداث ووصفتها، فيتجلى الترابط العجيب بين القرآن الكريم بأدق تفاصيله وأصغر كلماته، وبين أحداث السيرة النبوية، وهذا من بديع النظم الإلهي لكلمات القرآن الكريم وفواصله.

﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾(الفتح:٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأتمَّ الله تبارك وتعالى ذكر مِنَحِه على نبيه –عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم–، بأن جعل هذا الفتح المبين سبباً لمغفرة الذنوب، وإتمام النعمة، وهدايته الصراط المستقيم، والنصر العزيز كلها مجتمعة، فكأن الله أراد له الجمع بين عز الدارين.[١]

وهنا يظهر لنا سؤال هام، هل كانت للنبي – صلى الله عليه وسلم – ذنوب حتى تغفر؟! وللإجابة على هذا السؤال جاءت أقوال مختلفة للمفسرين ألخصها بالآتي:

١– جميع ما فرط منك من ترك الأولى، وتسميته بالذنب نظراً إلى منصبه الجليل.[٢]

٢– ما تقدم من ذنبك قبل النبوة، وما تأخر بعد النبوة.[٣]

٣– ما تقدم من ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك، وما تأخرمن ذنوب أمَّتك بدعائك.[٤]

وأميل إلى القول الأول من أن المقصود بالذنب هو جميع ما فرط منك من ترك الاولى، وتسميته ذنباً بالنظر إلى منصبه الجليل؛ لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين.[٥] ولأن هذا ما يليق بفضيلة النبي – صلى الله عليه وسلم –، والعصمة من الذنوب للأنبياء ثابتة في أقوال العلماء:

١ –قال ابن حجر في فتح الباري:" وعصمة الأنبياء – على نبينا وعليهم الصلاة والسلام– حفظهم من النقائص وتخصيصهم بالكمالات النفسية، والنصرة والثبات في الأمور، وإنزال السكينة،

---

[١] ينظر: الزمخشري، **الكشاف**،ج٥،ص٢.

[٢] ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**،ج٢٧،ص٧٨. والزمخشري، **الكشاف**، ج٥، ص٢، وابو السعود، **ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم**، ج ٧، ص١٠٤.

[٣] ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**،ج٢٥، ص٢٦٢.والسيوطي،عبد الرحمن بن ابي بكر،**الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط ١، ١٤١١هـ–١٩٩٠، ج٦ص٦٠.

[٤] ينظر ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج٢٥،ص٨٨.

[٥] الخلوتي، إسماعيل حقي بن مصطفى، **روح البيان**، بيروت، دار الفكر، د.ط، د.ت، ج٩،ص٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والفرق بينهم وبين غيرهم أن العصمة في حقهم بطريق الوجوب، وفي حق غيرهم بطريق الجواز.[١]

٢-وقال الراغب:" عصمة الله تعالى الأنبياء: حفظه إياهم أولاً بما خصهم به من صفاء الجواهر، ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية، ثم بالنصرة وتثبيت أقدامهم، ثم بإنزال السكينة عليهم، وبحفظ قلوبهم، وبالتوفيق، قال الله عز وجل:(وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ)(المائدة:٦٧).[٢]

٣- وقال المناوي:" العصمة ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها".[٣]

والحق أن جميع هذه المعاني متوافرة في النبي - صلى الله عليه وسلم -، فهو أكمل البشر خَلقَاً وخُلُقَاً، وله من صفاء الجوهر ماليس لغيره من الخلق، ولذلك كان يترك المعصية مع القدرة عليها محبة لله تعالى وامتثالاً وتسليماً، ولأن الذنوب والمعاصي ما هي إلا نجاسات معنوية، وهي تشبه القاذورات والنجاسات الحسية، فكيف تجوز نسبتها إلى الأنبياء؟![٤]

فهذه العصمة فضل كبير من الله تعالى على عبده، وأسندت المغفرة إلى اسم الله تعالى الظاهر، واسناد الفتح إليه بنون العظمة؛ للإيماء بأن المغفرة يتولاها الله تعالى بنفسه، والفتح يتولاه الله تعالى بالوسائط[٥]. وتبعها إتمام النعمة عليه بإعلاء الدين وانتشاره في البلاد، وضم الملك إلى

---

[١] العسقلاني، : أحمد بن علي بن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**،(قوله بابٌ بالتنوين المعصوم من عصم الله)، بيروت، دار المعرفة، د.ط، ١٣٧٩هـ،ج١١،ص٥٠١.

[٢] الراغب، **المفردات**، ص٥٧٠.

[٣] الزبيدي، محمّد بن محمّد ، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، د.م، دار الهداية، د.ط، د.ت، ج٣٣، ص١٠٠

[٤] الدليمي، محمد كاظم، **عصمة الانبياء**،١٤٣٧هـ-٢٠١٦م، ص٤. وللاستزادة في هذا الموضوع ينظر: الصابوني، محمد علي، **النبوة والانبياء**، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص٦١-٦٥.

[٥] ينظر: الألوسي: **روح المعاني**، ج٢٦،ص٩١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النبوة، وبخضوع المتكبرين وطاعة المتجبرين له، فبعد هذه النعم والمِنَحِ الكبيرة العظيمة خُتمت الآية بفضل جديد وهو الهداية إلى الصراط المستقيم.[١]

(وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا)، أي يزيدك الله تعالى هداية إلى هدايتك الثابتة وقت البعث وذلك بالتوسع في بيان أمور الشريعة، واتساع بلاد المسلمين وكثرتهم؛ مما يدعوك إلى سلوك طرائق عديدة وكثيرة في توصية المسلمين وإرشادهم.[٢]

والصراط: الصاد والراء والطاء وهو الطريق[٣]. والطريق المستقيم.[٤] والاستقامة: يقال في الطريق الذي يكون على خط مستوٍ، واستقامة الإنسان: لزومه المنهج المستقيم.[٥]

فقد أرشدك الله تعالى إلى الطريق المستقيم الذي يجب أن تسير عليه في دعوتك إلى الله تعالى، حيث يستقيم بك هذا الصراط إلى رضا ربك عنك، وحروف صراطاً مستعلية مطبقة تظهر فيها القوة والارتفاع، فالهداية للصراط فيها قوة وظهور ورفعة لمكانة الشخص المهدي صلوات الله وسلامه عليه، ونوّن الصراط للتعظيم. وجيء به منصوباً على أنه مفعول ثانٍ ل(يهدي) ليتضمن معنى الإعطاء.[٦]

وجاء بعد هذا وصف الصراط بالمستقيم، الذي لا عوج فيه، والاستقامة – وإن كانت حاصلة للنبي – صلى الله عليه وسلم – قبل الفتح– إلا أنها حصلت هنا بإيضاح سبيل الحق واستقامة

---

[١] ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**،٢٥، ص٢٦٣. وأبو السعود،، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**،ج٧ ،ص١٠٤. والألوسي، **روح المعاني** ،ج٢٦ ،ص٩١.

[٢] ينظر :ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥،ص١٤٨

[٣] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، مادة(صَرَطَ)، ج٣، ص٣٤٩.

[٤] الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، كتاب الصاد، مادة صَرَطَ، ص٤٨٣.

[٥] **المصدر السابق**، مادة قَوَمَ، كتاب القاف، ص ٦٩٢.

[٦] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥،ص١٤٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مناهجه ما لم يكن حاصلاً من قبل.[١] وكأن الله تعالى ينبه القارئ والسامع إلى النهج القويم الذي يجب اتباعه وعدم الالتفات عنه، وجاء الادغام بينهما؛ لإظهار التداخل والتكامل بين الصراط والاستقامة، فلا بد لمن اختار طريقا له أن يختار الطريق المستقيم الصحيح الموصل إلى الهداية والنجاة والابتعاد عن الصراط الأعوج، فتعود الفاصلة القرآنية لإعجازها وارتباطها بتقرير هدايات الدين وتوجيه المؤمنين إلى الطريق القويم.

(وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا)، وتستمر المِنَحُ الإلهية على النبي – صلى الله عليه وسلم –، التي ختمها بالنصر العزيز، فأظهر اسم الجلالة الله اهتماما بهذا النصر وإظهارا له، وبيانا أنه لولا جلال الله تعالى لما كان لهذا النصر أن يكون، لأن المغفرة تتعلق بالآخرة والنصر يتعلق بالدنيا فكأنه أشير بإسناد المغفرة والنصر إلى صريح اسمه تعالى إلى أن الله عز وجل هو الذي يتولى أمرك في الدنيا والآخرة"[٢]. وجاء التعبير بالفعل المضارع للدلالة على استمرار النصر وتجدده – صلى الله عليه وسلم – للنبي في كل حين.[٣]

ومجيء كلمة (نَصۡرًا) نكرة لتشتمل على أكبر قدر ممكن من الفتوحات التالية لصلح الحديبية، وجاءت كذلك مفعولاً مطلقاً؛ للتأكيد على أن كل ما حصل للنبي – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين بعدها كان نصراً حقيقياً واقعاً.

---

[١] ينظر: الألوسي، **روح المعاني** ، ج٢٦، ص٩١.

[٢] المصدر السابق، ج٢٦، ص٩١.

[٣] ينظر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥،ص١٤٨. والألوسي، **روح المعاني** ،ج ٢٦، ص٩١. والسيوطي، **الدرالمنثور**، ج،ص٦٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ووصف هذا النصر بالعزيز: والعزيز من عَزَّ يَعِزُّ عِزّاً وعِزَّةً، بكسرها. وعَزازَةً: صار عَزِيزاً، كتَعَزَّزَ، وقوي بعد ذلَّةٍ. والشيءُ قل فلا يكاد يوجد، فهو عَزيز.[١]

والنصر العزيز هو الذي معه غلبة العدو والظهور عليه، دون ذلة بعدها. وقيل وصف النصر بالعزيز من باب المجاز العقلي وأن العزيز هو النبي – صلى الله عليه وسلم –.[٢] "وفي ذلك إسناد مجازي: حيث أسند العَّز والمَنَعَة إلى النَّصر: أي قوياً منيعاً على وصف المصدر يوصف صاحبه مجازاً للمبالغة، وهذه الصفات في الأصل للمنصور وليس للنصر".[٣] "وقيل من عَّز الشيء إذ قل وجوده مع أنه محتاج إليه".[٤]

وأميل إلى الجمع بين الأقوال كلها، فالنصر عزيز لما فيه من قوة ومنعة للنبي – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين معه، وعدم تعرضهم للذل بعد ذلك أبداً، وعزيزٌ صاحِبه –عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم–، فهو دائماً كذلك مرفوعة مكانته عالٍ ذكره، وكذلك أنه نصر نادر لم يحدث قبله مثله، بل كان مميزاً في تحققه وكان سبباً في انتشار الاسلام في البقاع كلها حتى يومنا هذا.

ويدل على ذلك مجيء الاظهار بين النصر والعزيز، والاظهار هو البيان والوضوح، فكأن في ذلك إشارة إلى أن النصر الذي يجيء من عند الله تعالى يكون واضحاً بيناً في مكانته وأثره على الاسلام والمسلمين لا يحتاج إلى بيان أو توضيح أو تفسير.

---

[١] الفيروزابادي، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، باب الزاي، فصل العين، مادة(عزَّ)، ج١، ص٥١٧.

[٢] ينظر: ابن عطية ، **المحرر الوجيز** ، ج٢٥، ص٨٩. والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**،ج٢٥، ص٢٦٣. وابو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**،ج٧، ص١٠٤.

[٣] الصافي، محمود بن عبد الرحيم، **الجدول في إعراب القرآن**، دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت ط٤، ١٤١٨ هـ ،ج٢٦، ص٢٤٣.

[٤] الرازي، **مفاتيح الغيب**،ج٢٧، ص٧٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحروف (عَزِيزًا) كلها منفتحة، فيها انفراج وعدم انحصار للصوت، وكأنها تشير إلى مقدار العزة والقوة والغلبة التي تحققت للنبي – صلى الله عليه وسلم –، وعدم انحصارها في أمر قد يقع في مخيلة القارئ أو السامع، وستظل مكانته عليه الصلاة والسلام ترتفع وتسمو إلى يوم القيامة بفضل الله تعالى ومنته.

ويظهر لي بعد هذا كله مدى الانسجام والتناسب بين الفواصل القرآنية وسياقاتها في الآية نفسها وفي المقطع القرآني فالفتح المبين، والمغفرة، وإتمام النعمة، والهداية إلى الصراط المستقيم والنصر والتمكين كلها من نعم الله تعالى على نبيه – صلى الله عليه وسلم –.

ومن أكثر ما يُظهر الأثرَ الجمالي البديع لهذه الفاصلة، هو تغيرها بحسب تغير الموضوع ومناسبتها له، بحيث لا يصلح استبدالها بكلمة أخرى، فعند الحديث عن صلح الحديبية وما ترتب عليه من خير وبركة للمسلمين جاء الوصف بالفتح المبين، وفي الآية الثالثة كان الختم بالنصر العزيز؛ لاشتمالها على فتح مكة وخيبر والروم وغيرها من الفتوحات المتتالية، وهذا أنسب من وصفه بالفتح، والأعجب من ذلك مجيء يهديك صراطا مستقيما بينهما، للإشارة إلى أنه إذا استمر النبي – صلى الله عليه وسلم – على النهج القويم والطريق الصحيح، واتباع أوامر الله تعالى كما أمره وعلمه، فسيتحقق له النصر العزيز المنتظر بعد ذلك، وهذا ما كان وتحقق.

المبحث الثاني: بشائر الله تعالى للمؤمنين.

بعد الانتهاء من الحديث عن المِنَحِ الإلهية للنبي – صلى الله عليه وسلم – في المقطع الأول، انتقل إلى بيان بشائر الله تعالى للمؤمنين الذين ءامنوا به وبرسوله الكريم وعزروه ونصروه، بأن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنزل الطمأنينة والثبات والرحمة في قلوبهم بسبب الصلح؛ ليوقنوا فضل الله عليهم بتحقيق الأمن بعد الخوف.[1]

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(الفتح:٤-٥)

واستخدم لفظ الإنزال:" أي الإيقاع في العقل والنفس وخلق أسبابها الجوهرية والعارضة، وأطلق على ذلك الإيقاع فعل الإنزال تشريفاً لذلك الوجدان بأنه كالشيء الذي هو مكان مرتفع فوق الناس فألقي إلى قلوب الناس".[2] وما أنزل الله هذه الطمأنينة في قلوبهم إلا ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم الكائن في قلوبهم أصلاً وهو التوحيد.

(وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ)، يسلط بعضها على بعض، ويدبر أمرها بإرادته وحسبما يقتضيه علمه وحكمته. ومن جنود الله في الأرض هؤلاء المؤمنين الذين يقاتلون مع النبي– – صلى الله عليه وسلم –– قبل الفتح ويوم الفتح وبعده.

واختتمت الآية الكريمة بقوله تعالى: (وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)، وهذه الفاصلة الأولى في هذه السورة التي انتهت بأسماء الله الحسنى، وقامت على اسمين من أسمائه سبحانه، "ولفظ (كان) لا يفيد إلا الحدوث والحصول والوجود، إلَّا أن هذا على قسمين: منه ما يفيد حدوث الشيء في نفسه،

---

[1] ينظر الالوسي، **روح المعاني**، ج٢٦،ص٩٢. والقرطبي، **الجامع لاحكام القرآن**، ج٢٥،ص٢٦٤، وأبو السعود، **ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ج٧،ص١٠٥. وابن عطية، **المحرر الوجيز**،ج٢٥،ص٨٩. والرازي، **مفاتيح الغيب**، ج ٢٧، ص٨٠. والزمخشري، **الكشاف**، ج٥، ص٣.

[2] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،جج٢٥، ص١٤٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومنه ما يفيد موصوفية شيء بشيء آخر. أما القسم الأول: فإن لفظ (كان) يتم بإسناده إلى ذلك الشيء الواحد لأنه يفيد أن ذلك الشيء قد حدث وحصل، وأما القسم الثاني فإنه لا تتم فائدته إلا بذكر الاسمين، فإنه إذا ذكر كان معناه حصول موصوفية زيد بالعلم ولا يمكن ذكر موصوفية هذا بذاك إلا عند ذكرهما جميعا، فلا جرم لا يتم المقصود إلا بذكرهما، فقولنا: (كان زيد عالما)، معناه أنه حدث وحصل موصوفية زيد بالعلم، فثبت بما ذكرنا أن لفظ الكون يفيد الحصول والوجود فقط، إلا أنه في القسم الأول يكفيه إسناده إلى اسم واحد، وفي القسم الثاني:لا بد من ذكر الاسمين، وهذا من اللطائف النفيسة في علم النحو، إذا عرفت هذا فنقول: فعلى هذا التقدير لا فرق بين الكائن والموجود فوجب جواز إطلاقه على الله تعالى" [١].

وجاء اسم الله العليم وهو: المحيط علمه بكل شيء،[٢] والحكيم أي: واسع العلم والاطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، عزيز الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره[٣].

ولقد ناسب هذا حال المؤمنين يومئذٍ فقد اختلطت عليهم مشاعر الحزن والخوف والانتظار لتحقق رؤيا الرسول عليه الصلاة والسلام، وإنهاء الامر إلى المصالحة والمهادنة، وما سبَّبته شروط الصلح من ضيق في صدورهم، والرجوع دون دخول مكة وأداء العمرة، وكان الله عليماً بذلك كله مطلعاً عليه ، وعالماً بحاجتهم إلى السكينة والثبات والشعور بالاطمئنان لأوامره ورسوله وما قضيا به، أنزلها في قلوبهم بعلمه الذي أحاط بكل شيء، وبحكمته التي تقتضي تقدير الامر على أحسن

---

[١] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١ض١٢٣.

[٢] القحطاني، سعيد بن علي، **شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة**، الرياض، مطبعة سفير، د.ط، د.ت، ص٨٩.

[٣] **المصدر السابق**، ص١٠١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أحواله؛ لعلمه جلَّ وعلا بما ستؤول إليه الأمور، وأن هذا الصلح بمثابة الفتح العظيم الذي سيكون بوابة للفتوحات الأخرى، فتناسب اختتام الآية بالعلم والحكمة.

ومجيء ما بين الاسمين الجليلين مظهراً واضحاً بيِّناً في النطق؛ للكشف عن تمام علم الله تعالى للسر والعلن، وأن ذلك بيِّن في حكمته وتقديره للأمور على أحسن حال، ولأن ظاهر الحال أن العلم لازم الحكمة، فلا حكمة إلا بعلم.

﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾، جاء في سبب نزولها عن أنس بن مالك عن أنس، قال:"لما نزلت: إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر. قال أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: هنيئا لك يا رسول الله ما أعطاك الله، فما لنا؟ فأنزل الله تعالى: ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار ...الآية."[1]

واللام في(لِّيُدۡخِلَ) فيها قولان:

١– لام التعليل متعلقة بالفعل (لِيَزۡدَادُوٓاْ)، فزيادة الإيمان كانت بسبب السكينة، وإدخال الجنة بسبب ازدياد الإيمان. وبه قال ابن عطية، الرازي، والقرطبي، وابن عاشور.[2]

٢– متعلقة ب (وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ)، فالله تعالى سلَّط جنوده في الأرض – وهم المؤمنون – على المشركين لقتالهم والانتصار عليهم، فشكروه على ذلك فاستحقوا دخول الجنة. وبه قال أبو السعود و وافقه الألوسي.[1]

---

[1] الواحدي، **أسباب نزول القرآن**، رقم(٧٤٩)، ص٣٩٨.

[2] ينظر ابن عطية ، **المحررالوجيز**،ج٢٥، ص٩٠،و الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٧،ص٨٢،و القرطبي،**الجامع لأحكام القرآن**،ج٢٥، ص٢٦٤، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،ج٢٥، ص١٥١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وما المانع من الجمع بين القولين، فقد استحقوا دخول الجنة بسبب ازدياد إيمانهم بالله تعالى المتولد عن السكينة، وهذا الإيمان جعلهم من جنود الله تعالى في الأرض، فشكروا لله تعالى على هذه النعم والأفضال.

وإدخال المؤمنين الجنات، إدخال خاص في منازل المجاهدين مختلف عن الإدخال الذي استحقوه بالإيمان وصالح الاعمال الأخرى، وذكر المؤمنات مع المؤمنين هنا لدفع توهم أن يكون الوعد بهذا الإدخال للرجال، وإنما كان لهن نصيب فيه لأنهن شاركن الرجال في الشدائد، وتطبيب المرضى والجرحى، وسقاية الجيش، والصبر على غيبة الأزواج والأبناء.[٢]

ويتمُّ الله تعالى بشائره على المؤمنين بتكفير سيئاتهم: وكَفّر دِرْعَه بِثَوْب، وكَفَّرها بِهِ: لَبِس فوقَها ثَوْبا فَغَشَّاها بِهِ، والمُكفَّر: المُوَثَّق فِي الْحَدِيد، كَأَنَّهُ غُطِّيَ بِهِ وسُتِر[٣]، أي ستر عليهم ذنوبهم ولم يؤاخذهم بها. وقوله:" (عِندَ ٱللَّهِ) متعلق ب(فَوۡزًا) أي: فازوا عند الله: بمعنى لقوا النجاح والظفر في معاملة الله لهم بالكرامة، وتقديمه علىُ متَعلَّقه للاهتمام بهذه المعاملة ذات الكرامة".[٤]

واختتمت الآية الكريمة ب (فَوۡزًا عَظِيمًا)، والفوز: النجاة، والظفر بالخير[٥]. وعظيماً: منَ عظُمَ الشئ عِظَمَاً: كبُرَ فهو عظيم.[٦]

---

[١] ينظر أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**،ج٧، ص١٠٥، والألوسي، **روح المعاني**، ج٢٦،ص٩٤.

[٢] ينظر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،ج٢٥، ص١٥٢.

[٣] المرسي، علي بن اسماعيل، **المحكم والمحيط الأعظم**، مادة(كفر)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ ، ج٧، ص٥.

[٤] **ابن عاشور**، **التحرير والتنوير**،ج ٢٦، ص١٥٢.

[٥] الفيروزآبادي،**القاموس المحيط**، باب الزاي، فصل الفاء، ج١،ص٥٢٠.

[٦] :الفارابي، إسماعيل بن حماد ،**الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، فصل العين ،مادة(عَظُمَ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.ج٥، ص١٩٨٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فدخول الجنة وتكفير الذنوب هما النجاة الحقيقية والظفر بالخير كله من عند الله تعالى، ووصف هذا الفوز بالعظيم: أي الكبير الواسع الذي لا حدود له، فلا نعيم بعد نعيم الله بمغفرة الذنوب وإدخال الجنة أبداً، إلا رؤية وجهه جل وعلا وهذا متحقق أيضاً بدخول الجنة؛ لذلك استحق هذا الفوز الوصف بالعظيم، وقد جاءتا نكرتين غير محددتين بحدود؛ ليفرح المؤمنون بهذا الفوز الذي لم تره عين ولم تسمعه أذن ولم يخطر على قلب بشر أبداً، وجاء منوناً لتعظيم شأنه فيكفية شرفاً وعلواً أنه من عند الله تبارك وتعالى، وهذا هو حال المؤمنين دائماً فهم الفائزون في الدنيا بالنصر والظفر والسكينة ومعية الله عز وجل ورسوله عليه الصلاة والسلام، وفي الآخرة رضوان من الله وتكفير للسيئات وإدخال للجنة.

وها هو المقطع الثاني من الآيات الكريمة يظهر التناسب والتآلف بين الفواصل القرآنية ومعاني الآيات الكريمة، فمن بشائر الله تعالى ونعمه على المؤمنين أن يتولى أمرهم إله عليم حكيم ولعلها من أعظم النعم، ومنها كذلك الفوز العظيم في الدنيا والآخرة ، فكأن الفاصلة تظهر هنا في حُلةٍ جديدة وهي تصور لنا بعض مشاهد يوم القيامة ، حين تكون القلوب بالغة الحناجر خائفة مترقبة مصيرها ، فترتسم لنا صورة المؤمنين حينئذ وهم يبشرون بالمغفرة ودخول الجنة ، حتى تفيض عين القارئ شوقاً إلى تلك اللحظات ويدعو الله تعالى أن يكون منهم ، فيال جمال التعبير وروعة التصوير في كلام الله جل في علاه.

المبحث الثالث: مجازاة المنافقين والمشركين.

فبعد الحديث عن بشائر الله تعالى وإنعامه على المؤمنين بنعم كثيرة في الدنيا والآخرة، وعن حكمته جل وعلا في تقدير الأمور. ولما كان الحديث عن جنود الله في السماوات والأرض في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معرض النصر، كان لا بد من الحديث عن الفريق المهزوم الخاسر وعن جزائه في الدنيا والآخرة كذلك؛ لأنه من حكمته أيضاً.

قال تعالى:﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧ ﴾ (الفتح:٦-٧.)

افتتحت الآيات الكريمة بعطف عذاب المنافقين والمشركين على إدخال المؤمنين الجنة؛ لبيان جزاء كلا الفريقين، والعذاب يكون على ضربين:

١.عذاب نفسي في الدنيا من كشف أمورهم، وانهزامهم، وتخييب ظنونهم التي ظنوها بالله تعالى ورسوله الكريم، مع الغضب واللعنة.

٢.عذاب في الآخرة من إدخال النار مع الغضب واللعنة أيضاً.

وهذا نوع خاص من العذاب، زائدٌ على ما يستحقونه بسبب كفرهم ونفاقهم، ودل على ذلك قوله تعالى:(عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ). وقدّم الله سبحانه وتعالى المنافقين على المشركين؛ لأنهم أشد خطراً على المسلمين بسبب إخفائهم الكفر، فقد لا يَتنبَّه المسلم إلى مكرهم لظنه بإيمانهم، أما الكافر فيتجنبه المسلم لظهور كُفرِه. وفي عطف إلى الدور الفعَّال للنساء في معاداة الإسلام ومحاربته، فهن يشاركن الرجال الكفر وسوء الظن، ومكر الليل والنهار، ويربِّين أولادهن على ذلك، فسيشملهن العذاب كما شمل الرجال، وهذا من كمال عدل الله جل وعلا.[١]

[١] ينظر: أبو السعود، **ارشاد العقل السليم**، ج٧، ص١٠٥؛ وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥، ص١٥٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإن قلتَ: لماذا استحق هؤلاء العذاب؟، قلتُ: استحقوه بسبب نفاقهم وكفرهم أولاً، ثم بسبب سوء ظنهم بالله تعالى ورسوله والمؤمنين لقوله تعالى:(ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ)، وقرأ جمهور القرَّاء (ٱلسَّوۡءِ) هنا بفتح السين؛ لأن المراد به المصدر، ووصف به للمبالغة. أما في قوله تعالى: (عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ)، فقد قرأ الجمهور بالفتح، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالضم في الموضعين.[1]

فقد ظنوا أن الله تعالى لن ينصر رسوله – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين، بل سيعودون مهزومين خاسرين من مكة المكرمة، ولم يتوقعوا أن ينصرهم ويحقق لهم الفتح والظفر بالخير كله، ثم بين الله حالهم من رد كيدهم في نحورهم بقوله: (عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ)، "وهذه الجملة دعاء أو وعيد، ولذلك جاءت بالاسمية لصلوحيتها لذلك، بخلاف جملة: (وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ)، فإنها إخبار عما جنوه من سوء فعلهم، فالتعبير بالماضي منه أظهر"[2].

وما ظنُّوه بالمسلمين انقلب على رؤوسهم، فهم من خسر وخاب وضعفت شوكتهم وقلت هيبتهم، وجاء الوصف بلفظ الدآئرة؛ لأنها محيطة بصاحبها شاملة له، فكأن ظنونهم السيئة وما تمنوه للمسلمين من خسارة وصغار قد أحاط بهم من كل جانب، فأحاطت بهم الخسارة والهزيمة عن أيمانهم وشمائلهم ومن فوق رؤوسهم ومن تحت أرجلهم، ولم ترفع لهم راية بعدها أبداً، بل توالت عليهم الهزائم واحدة تلو الأخرى، وعلا دين الله تعالى وكلمته رغماً عن أنوفهم ولله الحمد والمنة، ولنا من سورة التوبة شاهد بتحقق نُصرة الله تعالى لدينه وعباده، وذلكم هو قوله تعالى:﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢ ﴾(التوبة:٣٢).

---

[1] ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف ،**النشر في القراءات العشر**، تحقيق : علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، د.ط، د.ت، ج٢، ص٢٨٠. والموضعين: سورة الفتح وسورة التوبة.

[2] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،ج٢٥، ص١٥٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولم يكتف الله تبارك وتعالى بذكر ما سبق، بل وصف حاله الجليلة بالغضب عليهم في الدنيا والآخرة، وإن من أشد أنواع العذاب أن يغضب الله الحليم الودود عليهم، فقد خسروا رحمته ومحبته ورضاه، وبهذا قد خسروا الدنيا والآخرة، وزادهم على هذا الغضب طردهم من رحمته وقربه، ولعل هذا أيضاً أشد على النفس وأقوى في الوقع أن يبعدهم الحنان المنان عن نفسه وعن رحمته ومعيته، فماذا بقي لهم بعد هذا؟! فيا لها من خسارة عظيمة وهزيمة قوية حقيقية، لا فوز بعدها أبداً إلا من تاب الله عليه.[1]

وبعد هذا العذاب النفسي كلِّه، انتقل إلى وصف العذاب الجسدي النفسي في وصف دارهم ومسكنهم وقرارهم في الآخرة وهو نار جهنم بقوله تعالى:(وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا)، فجاءت الآية الكريمة في وصفه على قسمين:

القسم الاول: في الإعداد ، فكأن الله تعالى جهز وهيأ لهم داراً يسكنونها فيها ألوان من العذاب تناسب أعمالهم التي قدموها في الدنيا، وفي هذا من الوعيد ما تشيب له الولدان، ذلك أن الإعداد نسب إلى الله تعالى، وفيه من المهابة والخوف ما تتخلع له القلوب. (ولهم) تشمل الجنسين، فمن شارك في الجُرم شورك في العذاب.

والقسم الثاني: وصف هذا المسكن بقوله:(، وَسَآءَتْ مَصِيرًا)، من َ(سوَأ) سآءه ضد سرّه[2]، فالأمر ضد السرور، فهو حزن دائم يخالطه ألم نفسي وجسدي لا راحة بعده أبداً، فكما أنهم لم يريدوا السعادة والفرح للمؤمنين في الدنيا، وتمنوا لهم الهزيمة وظنوا بالله ورسوله ظن السوء، استحقوا

---

(1) ينظر الطبري،**جامع البيان**،ج٢٥،ص٨٦، والزمخشري، **الكشاف**،ج٥، ص٣، وابن عطية، **المحرر الوجيز**،ج٢٥، ص٩١، والرازي،**مفاتيح الغيب**، ج٢٧،ص٨٤، والقرطبي، **الجمع لاحكام القرآن**، ج٢٥، ص٢٦٥، وابو السعود، **ارشاد العقل السليم**، ج٧،ص١٠٥، والالوسي، **روح المعاني**،ج٢٦، ص٩٥، وابن عاشور،**التحرير والتنوير**،ج٢٥، ص١٥٢–١٥٤، وسيد قطب، **في ظلال القران**، ج٢٦،ص٣٣١٩.

(2) الرازي، محمد بن ابي بكر، **مختار الصحاح**، مادة(سَوَأَ)، مكتبة لبنان، بيروت، د.ط، ١٩٨٩، ص٢٨٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا السوء والخزي الذي يحرق قلوبهم الموحشة – البعيدة كل البعد عن الله – قبل اجسادهم. فلمَّا انطوت قلوبهم على سوء الظن، ناسب أن يكون الجزاء من جنس العمل، فجاء القول بوصف المصير بالسوء.

والمصير من(صَيَرَ): وهو المآل والمرجع،[1] فبعد تمتعهم بالحياة الدنيا وفرحهم بها مع كفرهم وضلالهم، كان من المناسب أن يكون مرجعهم ومآلهم في الآخرة إلى هذا المنزل الذي كذبوا واستهزؤوا به وأنكروا وجوده، فاستحقوا هذا المصير، وجاء المدُّ في (وَسَآءَتۡ)والانفتاح في معظم حروف (مَصِيرًا)؛ ليمتدَّ معهما الخيال في تصور مدى السوء والخزي والمهانة الحاصلة لهم في هذا المستقر والمنزل الدائم.

وها هو الجمال والإبداع في الفاصلة يظهر من جديد، فهو يصور لنا حال المنافقين والمشركين يوم القيامة، ويصف لنا أدق التفاصيل في تصوير حالتهم النفسية والجسدية في هذا المسكن، لنتعايش مع هذا المشهد كأننا نراه أمام أعيننا، فنشفق على حالهم– وإن كانوا لا يستحقون الشفقة لما قدموه من إيذاء للنبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه الكرام– فنتعوذ بالله العظيم من هذا الحال .

بعد الانتهاء من تصوير حال المنافقين والمشركين في الدنيا والآخرة ، أعاد ذكر جنود السماوات والأرض وأنهم لله؛ للدلالة على أنه إن أراد إهلاكهم فهو قادر على ذلك، فالأمر كله إليه والجنود كلهم تحت أمره، ولكنه أخَّرهم إلى أجلٍ مسمى.

(وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)، وجاء الاختلاف في ختم الآية ، ففي موضعها الأول عند الحديث عن بشائرا لله تعالى للمؤمنين وبيان حالهم ختمت بالعليم الحكيم، الذي

---

[1] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، كتاب الصاد، بال الصاد والياء وما يثلثهما، مادةَ(صَيَرَ)،ج٢، ص٣٢٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يعلم كل ما كان وما هو كائن وما سيكون، ودبر ذلك كله بحكمته، أما هنا فختمها بالعزيز الحكيم؛ لأن المقام مقام تهديد ووعيد للمنافقين والمشركين، فهناك هزائم ستحل بهم، وعذاب دنيوي وآخر أخروي، فاحتاجت الآية إلى الانتهاء باسم الله العزيز أي: "هو الغالب كل شيء فهو الْعزِيز الَّذِي ذل لعزته كل عَزِيز"[١]، "وهو غير موجود النظير والمثل جلَّ وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا"[٢]. وبالحكيم: " وهو الموصوف بكمال الحكمة، وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والاطلاع على مبادئ الأمور، وعواقبها، واسع الحمد تام القدرة غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال."[٣]

فإن عزة الله تعالى مقرونة بالحكمة، فعزته لا تقتضي ظلماً وجوراً وسوء فعل، كما يكون من أعزاء المخلوقين، فبعضهم تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور، وكذلك حكمه وحكمته تعالى مقرونان بالعز الكامل، بخلاف حكم وحكمة المخلوق فإنه يعتريهما ذل، وكثرت الامثلة في القرآن الكريم من ارتباط العزيز بالحكيم، فلا عزة بلا حكمة ولا حكمة بلا عزة، وغالباً ما تأتي في آيات التشريع والجزاء، لتدل على ان مصدر ذلك كله عن عزة قاهرة وحكمة بالغة[٤]، كما في قوله تعالى:

---

[١] الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، **تفسير أسماء الله الحسنى**، دار الثقافة العربية، د.م، د.ط، د.ت، ج٣٤، ص١٠.

[٢] الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق ، **اشتقاق أسماء الله**، تحققي: د. عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، د.م، ط٢، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، ص٢٣٩.

[٣] آل سعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تفسير أسماء الله الحسنى**، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، د.ط، ١٤٢١هـ، ص١٨٦.

[٤] ينظر: ابن عثيمين، ، **وجه اقتران اسم الله العزيز باسمه الحكيم والجبار**، اسلام ويب، الفتوى، رقم الفتوى(٥٠٨٢٣)، نشر بتاريخ ٢٠ جمادى الاولى ١٤٢٥– ٧–٧–٢٠٠٤.
/http://library.islamweb.net/ar/fatwa/٥٠٨٢٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءً بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾(المائدة:٣٨)، بعد أن بين الله تعالى جزاء السارق والسارقة من أنه قطع أيديهم، وأنهم استحقوا هذا العقاب، جزاء بما كسبا، ختم الآية بقوله: (عَزِيزٌ حَكِيمٌ)، "أي عزيز في انتقامه فلا يغالبه شيء ، وحكيم أي: بالغ الحكم والحكمة في شرائعه، فلا يستطاع الامتناع من سطوته ولا نقض شيء يفعله، لأنه يضعه في أتقن مواضعه."[١] ومثله الكثير من الامثلة لا مجال لذكرها هنا.

فبعد ذكر عذاب المنافقين والمشركين، وكيف تمَّ إعداده، ناسب ذكر جنود الله تعالى –الذين هم من أسباب عزته– ويقدر على تعذيبكم بهؤلاء الجنود، وناسب هذا كله اختتام الآية بالعزيز الذي فعل كل ما فعله بعزته وقوته التي لا غالب لها، والتي لا ظلم فيها، وبحكمته التي اقتضت ترتيب الأمور في مواطنها بأحسن حال، فالحكمة صفة أساس من متطلبات العزة، ولا عزة بلا حكمة.

وجاء بين العزيز والحكيم حكم الإظهار، وقد علمنا ما فيه من الوضوح والبيان؛ لأن عزة الله تعالى وقوته وغلبته وحكمته في تدبير شؤون عبادة وتسييره لهذا الكون ظاهرة جلية لا تحتاج إلى بيان وإيضاح، وكذلك جاءتا منكرتين؛ لأنه لا حدود لعزته وحكمته، فلا يمكن لعقل الإنسان القاصر أن يدرك هذه الحكم العظيمة المترتبة على هذه التدابير كلها، والتنوين كما ذكرت سابقاً للتعظيم وإعلاء الشأن ، وهذا ما يتناسب دائماً مع أسماء الله الحسنى وصفاته العلى.[٢]

المبحث الرابع: وظيفة النبي – صلى الله عليه وسلم – ووظيفة المؤمنين وبيعتهم.

وابو رز، عطية مرجان، **لطائف من الاعجاز القرآني في اسم الله العزيز**، نشر بتاريخ٢٩-٩-٢٠١٤.
https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/٢٠١٤/٠٩/٢٩/٣٤٣٤٢١.html

[١] البقاعي، **نظم الدرر**، ج٦، ص١٣٥.

[٢] ينظر الطبري،**جامع البيان**،ج٢٥،ص٨٦، والزمخشري، **الكشاف**،ج٥، ص٣، وابن عطية، **المحرر الوجيز**،ج٢٥، ص٩١، والرازي، **مفاتيح الغيب**،ج٢٧، ص٨٤، والقرطبي، **الجامع لاحكام القرآن**، ج٢٥، ص٢٦٥، وابو السعود، **ارشاد العقل السليم**،ج٧، ص١٠٥،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعد بيان المنَّة الإلهية على النبي – صلى الله عليه وسلم – وأمته بالفتح المبين، وما تبع ذلك من بيان مصير أهل الجنة وأهل النار، تنقلنا السورة الكريمة إلى مراد الله تعالى من إرسال رسوله عليه الصلاة والسلام، وهذا من باب إقامة الحجة على المخالفين؛ لأن كل ما تقدم كان نتيجة لاتباع النبي – صلى الله عليه وسلم –، أوعدم اتباعه وعصيانه. فجاء الوصف في الآية الكريمة بثلاثة أوصاف، وهي الشاهد والمبشر والنذير، وقدم الشاهد؛ لأن الوصفين الأخيرين يتفرعان عنه.[1]

قال تعالى:﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾(الفتح:٨-١٠)، و(شَٰهِدٗا)أي: يشهد على أمته أنه بلغهم الرسالة وأدى الأمانة، ويشهد عليهم أن منهم من ءامن بما جاء به، ومنهم من كفر، ومنهم من نافق، وقيل: شاهداً على أمته أنه بلغهم، وعلى باقي الأمم أن أنبياءهم بلغوهم أيضاً، وقيل: شاهداً عليهم يوم القيامة.[2]

والأليق بالسياق الجمع بين الأقوال كلها، فهو يشهد عليهم في الدنيا بأنه بلغهم الرسالة، ويشهد على من آمن ومن كفر، ويشهد عليهم يوم القيامة، ويترتب على هذه الشهادة أنه مبشر للمطيعين، ونذير للعاصين.

---

[1] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥، ص١٥٥.

[2] ينظر: الطبري، **جامع البيان**،ج٢٥، ص٨٦، الزمخشري، **الكشاف**، ج٥،ص٣،الرازي، **مفاتيح الغيب**،ج٢٧، ص٨٥، القرطبي، **الجامع لأحكام القران**، ج٢٥، ص٢٦٦، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،ج٢٥، ص١٥٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و(وَمُبَشِّرًا) أصلها من بَشَرَ: ظهور الشيء مع حسن وجمال، والبشير: الحسن الوجه، ويقال: بشرت فلاناً أبشره تبشيراً وذلك يكون بالخير.[1] (وَنَذِيرًا) والإنذار: الإبلاغ ولا يكون إلا في التخويف، والنّذيرُ المنذِرُ والإنذارُ أيضاً.[2]

فاختتمت الآية الكريمة بصفات هذا النبي المرسل من عند الله تعالى، واختيرت هذه الصفات لتتناسب مع وظيفته عليه الصلاة والسلام، فعند تبليغ الناس بالدين وبهدايات الشريعة، انقسم الناس إلى قسمين مصدق ومكذب، فكان لابد من الانتهاء بالمبشر والنذير؛ لأن البشارة بالمغفرة والمحبة والرضا من الله تعالى تكون للفريق الذي آمن بالله ورسوله، وضحَّى بنفسه وماله ووقته وجهده لإرضائهما فاستحق البشارة، ومن أجمل ما في هذه الكلمة أن من معانيها (صاحب الوجه الجميل)، فلم يكتف الله تبارك وتعالى بتبشير المؤمنين بالخير في الدارين على لسان رجل عادي، بل كان رسولاً جميلاً في صفاته وأخلاقه، وكان صبوحاً، وكان سراجاً منيراً – صلى الله عليه وسلم –، فما أجمل أن تأتيك البشارة من رجل كريم الأخلاق جميل الوجه، بل أجمل من القمر ليلة البدر. ولتعظيم هذه البشارة جاءت منونة، ولعل أبرز صفة في حروف الكلمة عند النطق بها هو التفشي الظاهر في حرف الشين، وهو انتشار الهواء في الفم عند النطق به، وهذا يصور لنا حال المبشِّر و المبَّشر والفرح الذي يعلوهما والابتسامة التي ترتسم على وجهيهما.

وفي مقابل هذه البشارة وهذا الفرح والسرور، لا بدَّ أن يكون هناك إنذار وتخويف ووعيد لمن كفر بما أنزل على محمد – صلى الله عليه وسلم –، ولمن آمن بهذه الهدايات ثم خالفها، فعطف الإنذار على التبشير؛ لبيان أن وظيفة النبي عليه الصلاة والسلام لا تقتصر على البشارة فقط، بل

---

[1] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، كتاب الباء، باب الباء والشين وما يثلثهما، مادة (بشر)، ج١، ص٢٥١.

[2] الرازي، **مختار الصحاح**، باب النون، مادة(نذر)، ص٥٧٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هناك تحذير وتخويف للمخالفين، وفي هذا إشارة صريحة بوجوب الإتزان في شخصية الداعي إلى الله تعالى، وجاءت منونة أيضاً لبيان عظم هذا الأمر، فعصيان الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام ليس بالأمر الهيِّن، بل أمر مخيف مريب تترتب عليه عواقب وخيمة في الدنيا والآخرة، وعند النطق بهذه الكلمة ينحبس النفس لصفة الجهر في حروفها، وفي هذا إشارة إلى حال المنذَر يوم القيامة حين يرى العذاب ويدرك صدق النبي – صلى الله عليه وسلم –، وأن ما أنذره منه في الدنيا هو حقٌّ واقع حقيقي لا مفر منه، و هذه الأوصاف من أجمل وأنسب وأبدع ما تختتم به الآية الكريمة.

﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾

بعد بيان وظيفة النبي – صلى الله عليه وسلم – التفت الخطاب إلى المؤمنين، لبيان وظيفتهم وواجبهم تجاه الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام، وقد اختلف القراء في قراءة هذه الآية بين القراءة بتاء الخطاب، وبياء الغيبة، "فقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالغيب في الأربعة، وقرأ الباقون بالخطاب"[1]، وقال محمد محيسن في الهادي قولاً جميلاً :" قرأ ابن كثير وأبو عمرو (ليؤمنوا، ويعزروه، ويوقروه، ويسبحوه) بياء الغيبة في الأفعال الأربعة، لأن قبله قوله تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ)، وهذا يدلّ على أن ثمّ مرسلا إليهم، وهم غُيّب، فأتى بالياء إخباراً عن الغُيَّب المرسل إليهم، وقرأ الباقون (لتؤمنوا، وتعزروه، وتوقروه، وتسبحوه) بتاء الخطاب فيهنّ؛ لأن قوله تعالى: (إِنَّا

[1] ابن الجزري، ، **النشر في القراءات العشر**، ج٢، ص٣٧٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أَرْسَلْنَاكَ) يدلّ على أنّ ثمّ مرسلاً إليهم، فخصّ المؤمنين بالخطاب، لأنهم استجابوا لدعوة الرسول وآمنوا به."[١]

والخطاب في الآية الكريمة إما أن يكون للنبي – صلى الله عليه وسلم – وأمته، وبهذا قال الزمخشري ووافقه عليه أبو السعود و الألوسي[٢]، أو يكون لأمته فقط وبه قال الطبري وتبعه ابن عطية والرازي وسيد قطب.[٣] وكذلك اختلف المفسرون في ضمائر (وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ)على قولين، فقال الزمخشري ووافقه عليه الرازي وأبو السعود والألوسي وابن عاشور وسيد قطب : بأن الضمائر في الثلاثة عائدة على لفظ الجلالة الله،[٤] وخالفهم القرطبي وابو حيان، بأن الضميرين الأولين يعودان على النبي – صلى الله عليه وسلم –، والضمير الأخير يعود على الله تعالى[٥].

وأرجح القول الثاني من أن الضمائر في (وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ) تعود على النبي – صلى الله عليه وسلم –، والضمير في (وَتُسَبِّحُوهُ) عائد على الله عز وجل، للاعتبارات الآتية:

---

[١] محيسن، محمد بن محمد، **الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر**، دار الجيل – بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧، ج٣، ص٢٣٧.

[٢] نظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج٥،ص٤، أبو السعود، **ارشاد العقل السليم**، ج٧،ص١٠٦، الألوسي، **روح المعاني**، ج٢٦،ص٩٥.

[٣] ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج٢٥،ص٨٧، ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج٢٥،ص٩٤،الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٧،ص٨٦، سيد قطب، **في ظلال القران**،ج٢٦، ص٣٣٢٠.

[٤] ينظر الزمخشري، **الكشاف**، ج٥،ص٣، الرازي، **مفاتيح الغيب**،ج٢٧، ص٨٦، ابو السعود، **ارشاد العقل السليم**، ج٧،ص١٠٦، الألوسي، **روح المعاني**،ج٢٦، ص٩٤،ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥، ص١٥٦، سيد قطب، **في ظلال القران**،ج٢٦، ص٣٣٢٠.

[٥] ينظر القرطبي، **الجامع لاحكام القران**،ج٢٥، ص٢٦٧، أبو حيان، **النهر الماد**،المجلد٥، ص٢٠٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١.من الجائز في لغة القرآن أن يكون بعض الكلام راجعاً إلى الله تعالى وبعضه إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم –، مثل قوله تعالى:﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾(النور:٥٢)، فالطاعة عائدة إلى الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم – معاً، والخشية والتقوى عائدتان إلى الله تعالى.

٢.ولاستحسان الجزري الوقف على(وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ)، والابتداء بقوله تعالى(وَتُسَبِّحُوهُ)، حيث قال:" وكذا ذكروا الوقف على (وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ)، ويبدأ (وَتُسَبِّحُوهُ)؛ لئلا يوهم اشتراك عود الضمائر على شيء واحد، فإن الضمير في الأولين عائد على النبي – صلى الله عليه وسلم –، والضمير الثالث عائد على الله عز وجل."[١]

وعلى ما تقدم يكون ترجيح الكلام في الخطاب في كلمة(لِّتُؤۡمِنُواْ) على أنه موجه للمؤمنين، دون النبي – صلى الله عليه وسلم –.

وجاءت أقوال المفسرين في معنى تعزروه – كما ذكرها الطبري– على النحو الآتي: تعظموه، أوتجلّوه، أوتنصروه، أوتقاتلون معه بالسيف، ومعنى توقروه: تفخمونه، أوتسوِّدوه، وجمع بين هذه المعاني كلها قائلاً:" وهذه الأقوال متقاربات في المعنى، وإن اختلفت أقوال أهلها بها، ومعنى التعزير في هذا الموضع: التقوية بالنصرة والمعونة، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم

[١]ابن الجزري، **النشرفي القراءات العشر**،ج١، ص٢٣٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والإجلال"[1]. وما فعله الطبري جميل الصنعة، حيث جمع المعاني في غاية واحدة، إذ تختلف عبارات المفسرين ويكون مرادهم واحد.

أما (وَتُسَبِّحُوهُ) فالكل متفق على أن الضمير فيها عائد على الله جل وعلا، ودارت معاني التسبيح في أقوال المفسرين على معنيين أولهما: الصلاة له بالغدوات والعشيات، فعن ابن عباس رضي الله عنهما – قال:" صلاة الفجر وصلاة الظهر وصلاة العصر." وثانيهما: الذكر والتنزيه عن كل قبح.[2]

والأولى جمع القولين؛ لاختتام الآية بقوله (بُكْرَةً وَأَصِيلًا)، والبكرة: من بَكَرَ، وأتيته بكرة أي: باكراً.[3] وأصيلاً: من أَصَلَ، والأصيل: الوقت بعد العصر إلى المغرب.[4]، وفيه إشارة إلى المداومة، فهذه الفاصلة تصور لنا حال المؤمنين بأنه يجب أن تكون قلوبهم وعقولهم في عبادة وذكر دائمين لله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم –، فيكون حال الإجلال والتعظيم لهما مستمر لا ينقطع على مدار اليوم والليلة، والخطاب في الآيات لعامة المؤمنين إلى قيام الساعة، فهم مطالبون بذلك، ويوجد بين الكلمتين ادغام أي: إدخال، كأنه يشير إلى أن الصلاة والتسبيح والتوقير والتعظيم والنصرة لله تعالى ورسوله، يجب أن تكون داخلة في كل تفاصيل حياة المؤمن

---

[1] ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج٢٥،ص٨٧–٨٨.

[2] ينظر ابن عطية، **المحرر الوجيز**،ج٢٥، ص٩٤–٩٥، الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٧،ص٨٦، القرطبي، **الجامع لاحكام القران**، ج٢٥،ص٢٦٧، ابو السعود، **ارشاد العقل السليم**،ج٧، ص١٠٦، الالوسي، **روح المعاني**،ج٢٦، ص٩٦.

[3] الرازي، **مختار الصحاح**، مادة(بكر)، ص٥٣.

[4] **المصدر السابق**، مادة(أصل)، ص١٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأوقاته، ويظل عقله وقلبه منشغلين بذلك كله، تطبيقاً لقوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأنعام: ١٦٢)

ويضاف إلى هذا الجمال أن حروف(وَأَصِيلًا) كلها منفتحة – عدا الصاد– ففيها عدم انحصار لهذه الصفات في أمر واحد من حياة المؤمن، بل يجب أن تظهر في كل أموره فتكون عبادته وصلاته وتسبيحه وعلمه وزواجه وعمله كلها لا يشغله فيها إلا طلب رضا الله تعالى المبني على إيمانه به وبرسوله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

فتظهر الفاصلة القرآنية في هذه الآية الكريمة بصورة جديدة، حيث إنها لم تصور حدثاً من أحداث السيرة، ولا مشهداً من مشاهد يوم القيامة، بل بينت لنا ملمحاً تربوياً مميزاً تقوم عليه حياة المؤمنين من مداومة العبادة والتذلل لله تعالى في كل زمان ومكان إلى يوم القيامة، وهم الذين سيأتي الحديث عنهم في الآية القادمة، ليظهر ترابط الفاصلة بما قبلها وما بعدها، وكذلك ترابط الآيات فيما بينها في المقطع القرآني المبارك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

والحديث في هذه الآية عن مبايعة المؤمنين لله تعالى ورسوله فبدأت بالتأكيد على أن هؤلاء المؤمنين المبايعين إنما يبايعون ببيعتهم الرسول عليه الصلاة والسلام الله تعالى؛ لأنه ضمن لهم الفوز بالجنة، ثم جيء بالصلة؛ ليتوصل بها إلى معرفة هؤلاء المبايعين، وجيء بالفعل المضارع (يُبَايِعُونَكَ) لاستحضار حالة المبايعة كأنها حاصلة وقت نزول الآية مع أنها مضت، وهذه البيعة هي التي بايعها المسلمون للنبي – صلى الله عليه وسلم – يوم الحديبية، تحت الشجرة، وسميت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ببيعة الرضوان؛ لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(الفتح:١٨)، وسببها أن رسول الله أرسل عثمان بن عفان إلى أهل مكة؛ للمفاوضة بشأن التخلية بين المسلمين وبين أداء العمرة، فوصل للنبي – صلى الله عليه وسلم – خبر وفاة عثمان، فعزم على قتالهم ودعا المسلمين لمبايعته على قتالهم، فكان جابر بن عبد الله يقول: بايَعوه على أن لا يفروا، وقال سلمة بن الأكوع وعبد الله بن زيد: بايعناه على الموت.[١]

(إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ)، " والحصر المفاد من(إِنَّمَا) حصر الفعل على مفعوله، أي لا يبايعون إلا الله وهو قصر ادعائي بادعاء أن غاية البيعة وغرضها هو النصر لدين الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم –، فنزل الغرض منزلة الوسيلة فادعى أنهم بايعوا الله تعالى لا الرسول صلى الله علسه وسلم"[٢]

وقوله تعالى:(يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)، فيه أقوال :

- يد الله تعالى الحقيقية فوق أيديهم.
- نعمة الله تعالى فوق إحسانهم إلى الله.
- قوة الله تعالى ونصرته لهم.
- يده في الثواب فوق أيديهم في الوفاء.
- يده في المِنَّة عليهم بالهداية فوق أيديهم في الطاعة.[٣]

---

[١] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥،ص١٥٧-١٥٩. بتصرف

[٢] **المصدر السابق**، ج٢٥، ص١٥٧.

[٣] ينظر:ا لطبري، **جامع البيان**، ج٢٥،ص٨٩، وابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج٢٥،ص٩٦، والرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٧، ص٨٧، والقرطبي، **الجامع لاحكام القران**، ج٢٥، ص٢٦٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأقول بأنها كلها تصبُّ في نفس المعنى من أن يد الله تعالى كانت فوق أيديهم حقاً، وكذلك يؤيدهم بقوته ومعيته ونصرته لهم ولرسوله –عليه الصلاة والسلام –، فلما كان العهد مع الله ورسوله، وكان الله معهم ومؤيد لهم في هذا العهد وهذه القوة والنصر، كان شأن العهد عظيماً جليلاً، ومما زاده عظمة مجيء اسم الجلالة(ٱللَّهِ) الظاهر مرتين، وكان ونقضه مخيفاً؛ لذلك قال تعالى:(فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ)،ونكث: "نَكْثُ الأَكْسِيَةِ والغَزْلِ قَرِيبٌ مِنَ النَّقْضِ" [١] أي:" فمن فكّ وتخلَّف وحل معاهدته، فيكون نكثه على ضرر نفسه ودل على ذلك حرف(على)، والنقض: إبطال أمر بعد الإبرام والإحكام حتى يصدق النقض، وأما المبايعة والبيع والشرى بأي صورة كانت، فلا تناسب النقض، والمناسب فيها التعبير بالنكث: أي الخلف والنبذ والترك والإهمال"[٢]

(فَإِنَّمَا)، جاء القصر هنا،" لقصر النكث على مدلول(على نفسه)، ليراد لا يضر بنكثه إلا نفسه، ولا يضر الله تعالى شيئاً، فإن النكث لا يخلو من قصد إضرار بالمنكوث، فجيء بقصر القلب لقلب قصد الناكث على نفسه دون النبي – صلى الله عليه وسلم –"[٣] وفي المقابل من أوفى بعهده أي: أتمَّه، فسوف يؤتيه أجراً عطيماً.

واختُلف في قراءة (فَسَيُؤْتِيهِ)، "فقرأ أبو عمرو والكوفيون ورويس بالياء، وانفرد بذلك ابن مهران عن روح أيضاً وقرأ الباقون في النون."[٤] وقرأ الجمهور (عليه) بكسر الهاء، وتفرد حفص

---

[١] الاصفهاني، **المفردات**، مادة(نكث)، ص٨٢٢.

[٢] المصطفوي، حسن، **التحقيق في كلمات القرآن الكريم**، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي،طهران٠ايران، ط ١ ، ١١٣٨٥هـ، ج١٢، ص٢٥٨٠٢٥٧.

[٣] الألوسي،**التحرير والتنوير**، ج٢٥، ص١٦٠.

[٤] ابن الجزري، **النشر**، ج٢،ص٣٧٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بضمها[١]، وعلق الألوسي على ذلك بقوله:" وحسن الضم في الآية التوصل به إلى تفخيم لفظ الجلالة الملائم لتفخيم أمر العهد المشعر به الكلام."[٢]

فمن أوفى بالعهد الذي عاهده الله تعالى ورسوله، ولم ينقضه ولم يفكر في نقضه ، وجاهد مع النبي – صلى الله عليه وسلم –، وصبر وصابر ورابط في سبيل الله، استحق من الله تعالى الأجر العظيم، وقد أحسن الرازي في وصف هذا الأجر العظيم بقوله:" إن العظم في الأجرام، لا يقال إلا إذا اجتمع فيه الطول البالغ والعرض الواسع والسمك الغليظ...، والأجر كذلك؛ لأن مآكل الجنة تكون في أرفع الأجناس وتكون في غاية الكثرة، وتكون ممتدة إلى الأبد لا انقطاع لها، فحصل فيه ما يناسب أن يقال له عظيم."[٣]

وأضاف سيد قطب وصفاً جميلاً آخر بقوله:" أجراً عظيماً... هكذا على إطلاقه، لا يفصله ولا يحدده...فهو عظيم بحساب الله وميزانه ووصفه الذي لا يرتقي إلى تصوره أبناء الأرض المقلون المحدودون الفانون"[٤]

فاختتمت الآية الكريمة والمقطع الجليل ببيان جزاء المؤمنين الذين أطاعوا الله ورسوله، وبايعوه ونصروه وعظموه وذكروا الله بكرة وأصيلاً، وتحملوا المشقة والتعب والهجرة، وصبروا ورابطوا في سبيل الله تعالى، ليكون الاختتام بهذه الكلمات من أنسب ما يكون، والتنوين والتنكير فيهما لتعظيم شأن هذا الأجر، وعدم تحديده أوحصره أو تصوره، ففضل الله تعالى ونعمه في الآخرة لا يمكن تخيلها، أو حتى تخيل ما يشبهها.

---

[١] **المصدر السابق**، ج١، ص٣٠٥.

[٢] الألوسي، **روح المعاني**،ج٢٦، ص٩٧.

[٣] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٧،ص٨٧.

[٤] سيد قطب، **الظلال**،ج٢٦، ص٣٣٢٠-٣٣٢١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الخامس: فضح المُخلَّفين وبيان جزائهم.

بعد الحديث في المقطع الرابع عن البيعة، وجزاء الوفاء بها، والنكث لها، كان من المناسب الالتفات بهذا المقطع إلى الحديث عن الذين تخلفوا عن الرسول – صلى الله عليه وسلم –، ولم يخرجوا معه لأداء العمرة، ولم يبايعوه، وبيان بطلان أعذارهم وتصوير ما في نفوسهم وبيان جزائهم.

فأخبر الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام بالأسباب الحقيقية لتخلف الأعراب – وهم الأعراب الذين كانوا حول المدينة– فتخلفوا عن رسول الله لما دعاهم إلى الخروج معه إلى مكة عام الفتح وهم(غفار، ومزينة، وجهينة، وأسلم، وأشجع، والدّيل)، تثاقلوا عن الخروج؛ لظنهم بأن أهل مكة سينتصرون على المسلمين، وأنهم سيعودون مهزومين خاسرين، فقدموا أعذارهم الكاذبة للنبي – صلى الله عليه وسلم – من أن أسباب عدم خروجهم هي انشغالهم بالحفاظ على أموالهم وأهليهم ، فإن خرجوا معه فلن يجدوا من يحفظها لهم، وطلبوا منه الاستغفار لهم لتخلفهم عنه.

قال تعالى:﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنٗاۖ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ كَمَا تَوَلَّيۡتُم مِّن قَبۡلُ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٦ ﴾(الفتح:١١-١٦)

وجاء التعبير ب(المُخلّفون)؛ لأن الله خلفهم عن صحبة نبيه –عليه السلام–، فالمخلف: هو المتروك، واسم المفعوليه يشعر بان هناك إبعاداً وقع عليهم باختيارهم وإرادتهم، وليس هناك أسوأ من الإبعاد عن صحبة النبي – صلى الله عليه وسلم – في مثل هذه المواطن. " ولعل ذكر الأهل بعد الأموال من باب الترقي؛ لأن حفظ الأهل عند ذوي الغيرة أهم من حفظ الأموال"[١]، ثم كشف الله تعالى لنبيه كذبهم ونفاقهم وعدم صدقهم، وكذب أعذارهم فهم يقولون كلاماً بألسنتهم غير ما تضمره قلوبهم، فالأسباب الحقيقية للتخلف هي الخوف من الهزيمة، والأسباب الظاهرة هي الحفاظ على الأموال والأهل، والكذب أيضاً في قولهم (فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا)؛ لأنهم كانوا يسألونه الاستغفار من غير توبة أو ندم حقيقي، فبعد أن فضح الله نواياهم وما تحمله قلوبهم، قال لنبيه – صلى الله عليه وسلم –: قل لهم يا محمد : من يستطيع أن يحميكم من الله إن أراد أن يفجعكم بخسارة أموالكم وأهليكم؟! أو من يقدر أن يمنع عنكم نفع الله إن أراد أن يثمر لكم أموالكم، أو يصلح لكم أهليكم، فمن ذا الذي يقدر على دفع ما أراد الله تعالى من نفع أو ضر؟! والله عز وجل لا يعجزه أحد ولا يغالبه أحد.[٢]

---

[١] الألوسي، **روح المعاني**، ج٢٦،ص٩٨.

[٢] ينظر الطبري، **جامع البيان**، ٢٥،ص٩٠–٩١، الزمخشري، **الكشاف**،ج٥، ص٤، ابن عطية، **المحرر الوجيز**،ج٢٥، ص٩٨–٩٩، الرازي، **مفاتيح الغيب**،ج٢٧، ص٨٨، البيضاوي، **أنوار التنزيل**،٥، ص١٢٨، ابو حيان، **النهر الماد**، المجلد٥،ص٢٠٢–٢٠٣، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،ج٢٥، ص١٦١–١٦٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"وقرأ حمزة والكسائي وخاف بضم الضاد في (ضراً)، وقرأ الباقون بفتحها."[١] والضَّر بالفتح: هو خلاف النفع، وبالضم بمعنى: البؤس والسقم.

فبعد كشف نواياهم وكذبهم ونفاقهم جاء اختتام الآية بقوله تبارك وتعالى(بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)، وقد أبدع ابن عاشور كعادته في بيان سبب مجيء الفاصلة بهذا التعبير، حيث قال:" وبل إضراب لإبطال قولهم(شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا) .وبه يزداد مضمون قوله:(يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ) تقريراً؛ لأنه يتضمن إبطالاً لعذرهم، ومن معنى الإبطال يحصل بيان الإجمال الذي في قوله"(بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) إذ يفيد أنه خبير بكذبهم في الاعتذار فلذلك أبطل اعتذارهم بحرف الإبطال".[٢]

والخبير:" الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، والواجبات والمستحيلات والممكنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء".[٣] وسرتقديم (بِمَا تَعْمَلُونَ)على(خَبِيرًا)في الفاصلة؛ هو قصر العلم بالبواطن والأسرار والخفايا على الله تعالى دون غيره، وما المبهمة؛ للدلالة على العموم ، فهو عليم بكل ما تعملون ظاهره وباطنه، والسر في اقتران الخبير بما تعملون لا بما تفعلون؛ هو أن العمل ما يكون بقصد ويوجد الأثر في الشيء، وأكثر ما ينسب إلى الإنسان، أما الفعل فما كان بقصد أو بغير قصد، بإجادة أو بغير إجادة، وقد يصدر عن الحيوان[٤]، فالأنسب للسياق مجيء العمل؛ لأنه

---

[١] ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج٢، ص٣٧٥.

[٢] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥،ص١٦٣-١٦٤.

[٣] آل سعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تفسير أسماء الله الحسنى**، تحقيق: عبيد الله علي العبيد، الجامعة الاسلامية- المدينة المنورة، د.ط، ١٤٢١هـ، ص١٩٤.

[٤] الأصفهاني، **المفردات**، ص٥٨٧. بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يصدر عن الإنسان بقصد ونية ويشتمل على ما كان في القلب وما ظهر على الجوارح، فلا يستطيع أحد أن يعلم ما في القلوب الا الله، فنحن لنا الظاهر فقط، والله يعلم السر وأخفى، فوصف نفسه بهذه الصفة ليظهر مدى علمه بما يخفون وما يعلنون، فهو مطلع على القلوب لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وفي هذه النهاية تهديد ووعيد بأنه سيعاقبهم على نواياهم وما تخفيه قلوبهم، وهذا ما يناسب اختتام الآية به.

﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾

افتتحت الآية بحرف الإبطال(بل)؛ لتأكيد إبطال زعمهم من أن ما منعهم من الخروج هو انشغالهم بأموالهم وأهليهم، فكشف الله سبحانه وتعالى الأسباب الحقيقية وراء تخلُّفهم عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهي أنهم اعتقدوا أن الله لن ينصر المؤمنين، وأنهم سيغلبون من كفار قريش، ولن يعودوا إلى أهليهم أبداً، وجيء التعبير بحرف (لن) المفيد استمرار النفي، وأكَّد بقوله(أبداً)؛ لأن ظنهم كان قوياً، وزين هذا الظن في قلوبهم، والتزيين: هو التحسين، فالشيطان ماهر في تحسين السيئات والذنوب في قلوب أصحابها، والتزيين كناية عن قبول هذا الفعل في النفوس والقلوب، فهو مُحسَّن فيها؛ لأنهم لم يفرضوا غيره، بل رجَّحوا أن الرسول والمؤمنين لن يعودوا سالمين أبداً، وظن السَّوْء هو الذي ُذكر في الآيات السالفة.[1]

[1] ينظر الطبري، **جامع البيان**،ج٢٥، ص٩١، القرطبي، **الجامع لاحكام القران**، ج٢٥،ص٢٦٩،السيوطي، **الدر المنثور**،ج٦، ص٦٥، الألوسي، **روح المعاني**،ج٢٦، ص٩٩، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥،ص١٦٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم جاء الوصف البديع لحال هؤلاء في قوله تعالى:(وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا)، "والْبورُ: من بَوَرَ، والبوارُ: الهلاك، وهم بُورٌ أي: ضالّونَ هلكَى، وقال يعقوب: البُورُ: الرجل الفاسد الذي لا خير فيه".[١]

فهؤلاء القوم الظَّانون بالله ظن السَّوء، وقد تزين هذا الظن في قلوبهم، استحقوا الوصف بالبور؛ وذلك لأنهم فاسدون في أنفسهم، وقلوبهم، نياتهم، فلا خير فيهم، "وجاءت كلمة(قَوْمًا) بين كنتم وبوراً؛ لإفادة أن البوار صار من مقومات قوميتهم؛ لشدة تلبسه بجميع أقدارهم"[٢].

وجاءت الصورة الحية في هذا الوصف بكلام سيد قطب، حيث قال:" وكان هذا هو ظن السوء بالله، الناشئ من أن قلوبهم بور، وهو تعبير عجيب موح، فالأرض البور ميتة جرداء، وكذلك قلوبهم، وكذلك هم بكل كيانهم بور، لا حياة ولا خصب ولا إثمار، وما يكون القلب إذ يخلو من حسن الظن بالله؟! لأنه انقطع عن الاتصال بالله، يكون بوراً ميتاً أجرد، نهايته إلى البوار والدمار".[٣]

ولعلنا نلحظ هنا اختلاف حرف الروي في هذه الفاصلة عن كل الفواصل في سورة الفتح، حيث أتت كلها بحرف الياء ثم حرف بعدها ثم ألف مدية، اما هنا فتوسط الياء والالف واواً، ولعل في ذلك حكمة، فحرف الواو فيه جهر ورخاوة واستفال وانفتاح، وهذه الصفات تصور لنا حال هؤلاء القوم البور ، ففي الجهر انحباس للنفس، وكأن الخير منحبس منهم وعنهم، فلا يصدر منهم ولا

---

[١] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، مادة(بور)، ج١ ،ص٣١٦.

[٢] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،ج٢٥، ص١٦٥.

[٣] سيد قطب، **في ظلال القران**، ج٢٦، ص٣٣٢٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يصل إليهم، وفي الرخاوة وصف لحال قلوبهم البعيدة عن الله، لما فيها من جريان الصوت، فكأن الشهوات تجري بها وتلعب بها كيفما تشاء، فهي غير ثابتة على الحق، وكذلك الاستفال فيه انخفاض وهذا وصف لانخفاض حالهم وقيمتهم بسبب بعدهم عن الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم –، وسوء طنهم بهم، وأما الانفتاح ففيه عدم انحصار ، فلم يقتصر البور على حالتهم الخارجية، بل تعداه إلى قلوبهم ونواياهم، فكان هذا التعبير من أجمل وأروع ما تختتم به الآية المتحدثة عن المخلفين وجزائهم.

﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾

والذي لا يؤمن بالله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم – فقد أعد الله عزَّ وجلَّ له سعيراً، وجاء ذكرهم بعد ذكر المخلَّفين؛ لتحذيرهم من أنهم إذا ظلوا على حالهم هذه من التخلُّف عن الله تعالى ور–سوله عليه الصلاة والسلام–، فهم يحومون حول الحِمى، وربما سيصبحون مثل هؤلاء الكفار ويستحقون السعير، وجاء الوصف بقوله تعالى:(فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا)، وأعتدنا من (عَتَدَ):" يقال للشئ المعتد: إنه لعتيد، وقد أعتدناه وهيأناه لأمر إن حَزَبَ "[1]، وفي نسبة الإعداد إلى الله تعالى من المهابة والتخويف والتهديد ما تتفطر منه القلوب، فالله تعالى– بجلاله– أمر بإعداد هذا السعير بما يتناسب مع أعمالهم التي قدموها في الدنيا. والسعير من(سَعَرَ):" يدل على اشتعال الشئ، واتقاده، وارتفاعه، ومن ذلك السعير: سعير النار"[2] وهذا هو حال السعير

[1] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، مادة(عتد)، ج٤، ص٢١٦.

[2] **المصدر السابق**، مادة(سعر)، ج٣، ص٧٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التي أعدت لمن كفر بالله ورسوله، وأساء الظن بهما، وكان قلبه بوراً"، وجاءت سعيراً نكرة؛ للتهويل، أو لأنها نار مخصوصة" .[1]

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

فإن الله تعالى الذي أعطى المؤمنين أجراً عظيماً، وأعد للكافرين سعيراً، هو مالك السماوات والأرض، المتحكم بأمورها، المدبِّر لشؤونها وشؤون عباده فيها، وهو الذي يجزي الناس بأعمالهم، فمشيئته مطلقة لا مقيد لها، فهو يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، وقدم المغفرة على العذاب؛ ليفتح باب الأمل للمخلفين والمنافقين، وحتى المؤمنين المقصرين، من أن باب التوبة مفتوح أمامهم لا يغلق حتى تخرج الشمس من مغربها، وأبقى العذاب مذكوراً؛ ليجمع بين الترغيب والترهيب، فلا يركن أحد إلى مغفرته ورحمته، ولا ييأس أحد من عذابه فلا يتوب ظاناً أن الله لن يغفر له، ولا بد بعد الكلام والجمع بين المغفرة والعذاب أن تنتهي الآية بأن الله كان غفوراً رحيماً، دون ذكر العذاب؛ لأن هذه هي الصفة الغالبة لله تعالى، وارتبط اسم الغفور بالرحيم؛ لأن مغفرة الذنوب لا تكون إلا برحمة من الله تعالى بعباده، ومن مظاهر رحمته أن جعل أبواب المغفرة مفتوحة دائماً، وهو يغفر الذنوب جميعاً، وهذا هو حال العظماء، فرحمته تسبق عذابه.

﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

وعاد الله إلى قول المخلَّفين، فقال لنبيه – صلى الله عليه وسلم –: إنَّ المخلَّفين سيقولون لك لو أنك تسمح لنا باتباعك في فتح خيبر، لنقاتل معك، ونأخذ من الغنائم الوفيرة التي وعدت بها أهل

[1] ابو السعود، **ارشاد العقل السليم**، جج٧،ص١٠٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصلح، وهم بهذا الطلب كأنهم يريدون أن يبدلوا كلام الله تعالى من أنه قال بأن الغنائم في فتح خيبر خاصة بأهل الحديبية فقط، لا نصيب لغيرهم فيها، "وقرأ حمزة والكسائي وخلف (كَلِمَ) بكسر اللام من غير ألف، وقرأ الباقون بفتح اللام وألف بعدها".[1] فقل لهم يا محمد: لن تتبعونا، و(لن) نفي في معنى النهي أي: لا تتبعونا، ولو أردتم اتباعنا وسمحنا لكم، فإن الله تعالى سيثبطكم؛ لعلمه بما في قلوبكم من حب للغنائم ومتاع الدنيا، لا حباً لله وطلباً لمرضاته، والدليل على ذلك أن أموالكم وأهليكم لم يمنعوكم هذه المرة من الخروج، وهذا لطمعكم بالغنائم والأموال، وهذا الكلام من تخصيص الغنيمة لأهل الحديبية قاله الله وقرَّره من قبل، ولا تبديل لكلام الله.

فلما سمعوا هذا النهي قالوا للمؤمنين: ما منعتمونا من الخروج معكم إلا حسداً من عند أنفسكم على أن نقاسمكم هذه الغنائم، وها هي القلوب الملوثة تظهر ثانية في سوء الظن بالمؤمنين، ولايظن بأنهم قصدوا النبي – صلى الله عليه وسلم – بكلامهم؛ فهم مؤمنون ولا يتهمونه بالحسد، لذلك كله أبطل الله كلامهم بالإضراب الإبطالي بقوله:(بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا).[2]

فجاء الوصف بعدم الفقه إلا القليل منه، "والفقه: الفهم والفطنة"[3]، فهم لا يفقهون حقائق الامور ومآلاتها، ففهمهم القليل يقتصر على أمور الدنيا ومظاهرها الزائفة، ويفتقدون الفهم العميق

---

[1] ابن الجزري، **النشرفي القراءات العشر**، ج٢، ص٣٧٥.

[2] ينظر الطبري، **جامع البيان**،٢٥، ص٩٣، ابن عطية، **المحرر الوجيز**،ج٢٥، ص١٠٠، القرطبي، **الجامع لاحكام القران**، ج٢٥، ص٢٧١، السيوطي، **الدر المنثور**،ج٦، ص٦٥، ابو السعود، **ارشاد العقل السليم**،ج٧، ص١٠٨، الألوسي، **روح المعاني**،ج٢٦، ص١٠١-١٠٢، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،ج٢٥، ص١٦٨-١٦٩.

[3] الزمخشري، محمود بن عمر، **أساس البلاغة**، مادة(فقه)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ج٢، ص٣٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والفطنة من أن نعيم الآخرة خير وأبقى من نعيم الدنيا، وإن كان المؤمنون الصادقون يجمعون بين النعيمين.[1]

ثم أعاد الله تعالى وصفهم (بالمخلَّفين)؛ لبيان شناعة جرم التخلُّف عن رسول – صلى الله عليه وسلم –، ونصرة دينه، **فقال:**﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، وقال لرسوله عليه الصلاة والسلام: قل لهم: أنكم ستدعون إلى قتال قوم أولي بأس شديد، وقد اختلفت أقوال المفسرين فيَ منْ هُم هؤلاء القوم شديدي البأس على النحو الآتي:

- فارس والروم.
- هوازن وثقيف.
- هوازن وغطفان يوم حنين.
- بنو حنيفة.[2]

وللطبري كلام جميل في الجمع بين الأقوال كلها :" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذِكرُه أخبر عن هؤلاء المخلَّفين من الأعراب أنهم سيدعون إلى قتال قوم أولي بأس في القتال، ونجده في الحروب، ولم يوضع لنا الدليل من خبر ولا عقل على أن المعني بذلك هوازن ولا بنو حنيفة ولا فارس ولا الروم، ولا أعيان بأعيانهم، وجائز أن يكون عنى بذلك بعض هذه

---

[1] ينظر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥،ص١٥٥.

[2] ينظر الطبري، **جامع البيان**، ج٢٥، ص٩٧، ابن عطية، **المحرر الوجيز**،ج٢٥، ص١٧١، القرطبي، **الجامع لاحكام القران**، ج٢٥، ص٢٧٢، الألوسي، **روح المعاني**،ج٢٦، ص١٠٢، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،ج٢٥، ص١٧٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأجناس، وجائز أن يكون عنى بهم غيرهم، ولا قول فيه أصح من أن يقال كما قال الله جل ثناؤه: أنهم سيدعون إلى قوم اولي بأس شديد" [١]

وأوافقه القول؛ لأن الهدف من ذكرهم هنا ليس لبيان من هم القوم، بل هو لإعطاء فرصة للمخلَّفين لقتال هؤلاء القوم، وعدم التخلف مرة أخرى، عسى أن يتوب الله عليهم، ويكفَّر لهم ما كان منهم من تخلُّف عن الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – فيما مضى.

وفي هذه الآية انتقال إلى طمأنة المخلفين بأنهم يمكن أن ينالوا رضى الله تعالى، وينالوا مغانم كثيرة من فتوحات أخرى قادمة، ليتبدل عنهم انكسار خواطرهم من جراء الحرمان ، وجاء ذكر الأعراب هنا ليعرف القارئ أن الأعراب الذين تخلفوا عن الحديبية هم المقصودون لا غيرهم ممن يقع منه التخلف، فعند خروجكم للقتال سيكون أحد الأمرين، إما القتال، أوإعلانهم الإسلام– وهذا حكم من لا تؤخذ منه الجزية– فإن أطعتم الله هذه المرة فسيؤتيكم أجراً حسناً،: والحُسُن: ضدّ القُبح"[٢]. فالأجر المترتب على هذه الطاعة جميل في الدنيا من رضى الله ومحبته، وجميل في الآخرة من الرضى والجزاء بالجنة، وفي المقابل إن توليتم وتخلفتم كما فعلتم من قبل فسيعذبكم عذاباً أليماً، والعذاب كما أسلفت عذاب نفسي في الدنيا من غضب الله والحرمان من معيته ومحبته، ونفسي وجسدي في الآخرة من عذاب في النار، وجاء الوصف بالأليم، "والألم: الوجع، والإيلام: الإيجاع".[٣] فهذا العذاب سيكون موجعاً جداً؛ لأنكم أعطيتم فرصة جديدة ولكنكم رفضتموها، فتستحقون هذا العذاب الأليم، وحروفها مجهورة فيها انحباس للنفس، وهذا حالهم يوم القيامة حين يرون العذاب، فتنحبس أنفاسهم وترتجف قلوبهم من الخوف والترقب لما ستؤول إليه

---

[١] الطبري، **جامع البيان**، ج٢٥،ص٩٧.

[٢] الرازي، **مختار الصحاح**، مادة(حسن)، ص١٢٠.

[٣] الرازي، **مختار الصحاح**، مادة(ألم)، ص١٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حالهم بعد الحساب العسير الذي سيمرون به، ولعل هذه الخاتمة من أنسب ما يختتم به هذا المقطع القرآني الذي تحدث عن فضح المخلفين وبيان جزائهم.[1]

ففي هذا المقطع تجلَّت جمالية الفاصلة القرآنية حقيقة، فقد وصفت وصورت مشاهد عديدة، فبدأت بوصف خبرة الله وعلمه بأحوال عباده، ثم انتقلت إلى تصوير حال المخلفين ووصفهم بالبور- ولعل هذه كانت من أجملها وأكثرها تصويراً للحال- ثم جاء وصف صورة العذاب بالسعير، وتوسطه مشهد المغفرة والرحمة؛ لعدم إقناط الناس وتيئيسهم، وهذا من فضل الله علينا ، ثم عاد الوصف للمخلَّفين بعدم فقههم و فهمهم إلا فهماً سطحياً لأمور الدنيا، وكان الختام بالعذاب الأليم. فجعلتنا هذه الفواصل نعيش الحال من أوله حتى نهايته ، فنتصور المخلَّفين في كل أحوالهم حتى أننا عرفنا ما في نفوسهم وقلوبهم، وهل بعد هذا كله شك في إعجاز القرآن الكريم بكل كلماته وفواصله وحروفه؟!.

الفصل الثاني: الانسجام والتناسب بين الفاصلة القرآنية وسياقها في النصف الثاني من سورة الفتح.

[1] ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٧، ص٩٣، القرطبي، **الجامع لاحكام القران**، ج٢٥، ص٢٧٣،ابو حيان، **النهر الماد**، المجلد٢٥، ص٢٠٣،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول: جزاء الوفاء بعهد الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم – .

المبحث الثاني: البشارة بتحقيق رؤيا الرسول – صلى الله عليه وسلم –.

المبحث الثالث: التكريم الإلهي لأصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – .

المبحث الأول: جزاء الوفاء بعهد الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم – .

بعد بيان حال المخلفين وتحذيرهم من التولي كما تولوا يوم الحديبية، ذكر الله تعالى أصحاب الأعذار الذين يجوز لهم التخلف بسبب ظروفهم ، وهم الأعمى والأعرج والمريض؛ لأنهم لا يستطيعون بأعذارهم هذه التقدم للقتال أو الاحتراز والهرب، وهم من أهل الوفاء بالعهد لكن أعذارهم منعتهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ * لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾.(الفتح: ١٧-٢٦).

فبين الرازي أن هذه الأعذار تكون إما في نفس المجاهد أو طارئة خارجة عن إرادته، كالفقر، والاشتغال بمن لولاه لضاع، كطفل أو مريض، كما بيَّن أنه اقتصر على هذه الأصناف الثلاثة؛ لأن العذر إنما يكون بإخلال في عضوٍ، أو باختلال في القوة، ومن صور الاختلال في العضو، أن يكون في الذي يتم به الانتقال في مواضع القتال وهي الرجل، أو الذي تتم به فائدة الحصول في المعركة وهي العين وقُدِّم الأعمى على الاعرج؛ لأن عذر الأعمى يستمر وإن حضر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القتال، أما الأعرج فإن حضر راكباً أو بطريق آخر يقدر على القتال بالرمي وغيره، أمّا المريض فهو ليس أي مرض، بل المرض الذي يمنع صاحبه من القدرة على الجهاد بأي حال.[١]

ومن يطع الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – في أوامرهما ونواهيهما يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار، ومن يتولى عن هذه الطاعة يعذبه عذاباً أليماً، "والمعنى بالوعد الوعيد هنا أعمُّ من المعنى بهما فيما سبق كما ينبئ عن ذلك التعبير ب(من) هنا، وبضمير الخطاب هناك"[٢] في قوله تعالى:﴿ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنٗاۖ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ كَمَا تَوَلَّيۡتُم مِّن قَبۡلُ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾(الفتح: ١٦). ففي الآية الأولى كان الخطاب خاصاً بالمخلفين وموجهاً إليهم، أما هنا فالحديث لكل طائعٍ ومتولٍ، ففيها تحذير أعمُّ وأوسع. فكل الطائعين في كل زمان سيدخلون جنات تجري من تحتها الأنهار، وكل المتولين سيعذبون عذاباً أليماً، وقرأ المدنيان[٣]، وابن عامر(يدخله ويعذبه) بالنون، وقرأ الباقون بالياء.[٤]

ومن جميل ما قيل في هذا المقام ما سطَّره يراع سيد قطب، حيث قال:" والأمر في حقيقته هو أمر الطاعة والعصيان، هو حالة نفسية لا أوضاع شكلية، فمن يطع الله ورسوله فالجنة جزاؤه، ومن يتول فالعذاب الأليم ينتظره، ولمن شاء أن يوازن بين مشقات الجهاد وجزائه، وبين راحة القعود وما وراءه... ثم يختار!"[٥].

---

[١] ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**،ج٢٧، ص٩٣-٩٤.

[٢] الالوسي، **روح المعاني**، ج٢٦،ص١٠٥.

[٣] يزيد بن القعقاع، ونافع بن عبد الرحمن.

[٤] ابن الجزري، **النشر**، ج ٢، ص٢٤٨.

[٥] سيد قطب، **الظلال**، ج٢٦، ص٣٣٢٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾

تقف الكلمات حائرةً في وصف هذا المشهد المهيب، الذي تتجلّى فيه العظمة والرفعة، والفوز العظيم بنعيمي الدنيا والآخرة، فمن ذا الذي يتشرف برضى الله تعالى عنه، ولا يشعر بالسعادة الدائمة الأبدية التي لا حزن بعدها، والفرح الدائم الذي لا تشوبه شائبة ولا يعكره معكر.؟!

فقد أخبر الله جل في علاه أنه رضي عن المؤمنين الذين يبايعونك يا محمد على الوفاء بالعهد وعدم التخلُّف عنه، الذين ضحوا بأنفسهم وأموالهم وأبنائهم في سبيل إرضاء الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم –، وفي إظهار الاسم الشريف ما يعظِّم قدر هذا الرضى ورفعته وجلالة قدره، وفي التوطئة له بالقسم وما في (قد) من التحقق ما يزيد الأمر مهابةً في النفوس، "وجاءت(**يُبَايِعُونَكَ**) بتعبير المضارع؛ لاستحضار حال المبايعة الجليلة، وكون الرضى عند تجديد المبايعة ولم ينتظر بها تمامها، وتخصيص ذكر المؤمنين المبايعين لإخراج من لم يبايع ممن خرج مع النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو (الجد بن قيس)، إذ كان يومئذٍ منافقاً، ثم حسن إسلامه، والشجرة التي تمت المبايعة تحتها هي شجرة من شجر(السَّمُر)، وهو شجر الطلح[١].[٢]

---

[١] والطَّلْحُ: شجر أم غَيْلاَن، لَهُ شوك أَحْجَنُ، وَهُوَ من أعظم العِضاه شوكاً وأصْلَبِه عودا وأجوده صمغا، والوحدة طَلْحَة. ابو منصور، **تهذيب اللغة**، مادة(طلح)،ج ٤، ص٢٢٢.

[٢] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥،ص١٧٤. بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فعلم الله تعالى ما في قلوبهم من الإيمان واتباع الرسول – صلى الله عليه وسلم –، والصدق والوفاء، ومن الكآبة التي خالطت القلوب بعد الصلح؛ لظنهم أنه ليس بفتح ولا نصر، فأنزل الله على هذه القلوب الطاهرة السكينة أي: الثبات والطمأنينة إلى أنَّ وعد الله تعالى سيتحقق، وأن هذا الصلح فتح مبين، وسترون هذا بعد حين، وستفرحون به فرحاً شديداً.

وجاء الوصف بالإنزال؛ لبيان عظمة الأمر المنزل، وعظمة المكان المنزل فيه، فالطمأنينة وسكون النفس أمر عظيم، وله أثر بالغ في الثبات والاستمرار على الحق، وهذه القلوب النقية الوفية تستحق إنزال السكينة فيها لتزداد إيماناً وتصديقاً وثباتاً على الحق، وبعد هذا الفضل العظيم، أثابهم فتحاً قريباً، وهو فتح خيبر الذي حصل لهم بعد انصرافهم عن مكة بعد الصلح.[1]

فاختتمت الآية الكريمة بالوعد بالفتح القريب، والفتح: إزالة الغلق، فهل كان يتصور المؤمنون أنه سيأتي يوم وينتصرون فيه على اليهود ويأخذون أموالهم؟! وجاء التعبير ب(وَأَثَٰبَهُمْ)؛ للإشارة إلى أن الله تعالى بعد ما رضي عنهم، أنزل السكينة في قلوبهم، ثم رتب على هذا الرضى فتحاً عظيماً، ليتناسب الجزاء مع العمل، ووصف يوم خيبر بالفتح؛ لأنه كان فتحاً حقيقياً، فكان فيه الانتصار على اليهود، وحصل فيه المسلمون على مغانم كثيرة، ووصف بالقريب؛ لقرب عهده من الصلح،

فقد كان في شهر محرم سنة سبع للهجرة، فجاء في سيرة ابن هشام :" ثم أقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالمدينة حين رجع من الحديبية، ذا الحجة وبعض محرم، وولي تلك الحجة المشركون، ثم خرج في بقيّة المحرم إلى خيبر".[2]

---

[1] ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج٥،ص٦، القرطبي، **الجامع لاحكام القران**، ج٢٥،ص٢٧٨، أبو حيان، **النهر الماد**،المجلد٥، ص٢٠٥، الألوسي، **روح المعاني**،ج٢٦، ص١٠٨.

[2] ابن هشام، عبد الملك ، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده– مصر، ط٢، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م، ج٢، ص٣٢٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا الفتح هو تكملةٌ لجزاء الوفاء بعهد الله تعالى ورسوله- عليه الصلاة والسلام-، ولم يتوقف الجزاء هنا، بل سينتقل إلى أشياء أجمل وأعظم.

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، فقد جاء الوعد فيها بالمغانم الكثيرة التي سيأخذونها بعد هذا الصلح من أموال يهود خيبر وعقاراتهم، وقد خصصها الله تعالى في أهل الحديبية، "ووصفت بالكثيرة؛ لتعدد أنواعها، فهي الأنعام والمتاع والحوائط، وهي أول المغانم التي كانت فيها الحوائط."[1]

وانتهت الآية بقوله تعالى:(وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) أي: غالباً لا يغلبه أحد، فقد ظن المشركون والمنافقون أن النبي – صلى الله عليه وسلم – والمسلمين سيهزمون ويعودون خائبين، لكن الله تعالى حقق لهم النصر والظفر، ووعدهم بفتوحات قريبة، ومغانم كثيرة يأخذونها، فهذا كله حاصل بعزته وقوته التي لا غالب لها، وأيضاً بحكمته التي يحقق فيها مصالح المؤمنين التي تخفى عليهم؛ لعدم إحاطتهم وعلمهم بالأمور كعلمه عز وجل بالعلن والخفاء، وما ستؤول إليه الأمور كلها، وأنه سيجعل هلاك الأعداء على أيديهم، ليجازيهم عليه، فهو يعز من يشاء بحكمته، ويذل كذلك من يشاء.[2]

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥،ص١٧٦.

[2] ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج٢٥،ص١٠٣، الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٧،ص٩٦، السيوطي، **الدر المنثور**، ج٦،ص٦٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد تكررت هذه الفاصلة في السورة الكريمة مرتين، وفي هذا دلالة على أن الخير كله الذي يصيب المسلمين من فتوحات وانتصارات وغنائم وتمكين في الأرض ما هو إلا من تقدير العزيز الذي لا يُغلب ولا يُذل ولا يقهر جلَّ جلاله، وأن هذه الانتصارات ليست كأي انتصارات، بل يشوبها كل العزُّ والمَنَعة والعلوّ، لأنها من لدن عزيز حكيم، وأن هذا العزيز لا تدعوه عزته إلى الظلم والتجبر، بل يقدر الأمور ويضعها في مكانها المناسب مما يحقق لكم خيري الدنيا والآخرة، وقد تقدم الكلام عن سر ارتباط اسم العزيز بالحكيم في الفصل الأول.

ولهذين الاسمين أثرٌ بالغٌ في نفوس المؤمنين، فمن ءامن بإله عزيز حكيم، لا بد وأن يستمد عزته وقوته من هذا الإله العظيم، فلا يخاف أحداً أبداً إلا الله تعالى، كما أنه يكون واثقاً مطمئناً بأن هذا الإله الحكيم لن يضيعه أبداً، ولن يقدر له إلا ما فيه سعادته في الدنيا والآخرة، فيعيش المؤمن قوياً عزيزاً مستقر النفس قرير العين، وهذا من أجمل ما تختم به الآية الكريمة، وأكثر ما يناسب مقطع جزاء الوفاء بالعهد.

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَيَهۡدِيَكُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾

ويستمر الله تعالى في عطاياه ومنّه وفضله على المؤمنين، فوعدهم بمغانم كثيرة أخرى يأخذونها، وهي الغنائم التي سيحصل عليها المؤمنون إلى يوم القيامة، يأخذونها في أوقاتها المقدرة لكل واحد منها، **(فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ)** والمقصود هنا وقع في أقوال المفسرين على ضربين :

- صلح الحديبية والبيعة، وبه قال ابن عباس وتابعه سيد قطب.[1]

[1] ينظر: القرطبي، **الجامع لاحكام القران**،ج٢٥، ص٢٧٨، سيد قطب، **الظلال**،ج٢٦، ص٣٣٢٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- غنائم خيبر، وبه قال الزمخشري، وابن عطية، وابو السعود، والألوسي.[١]

والترجيح عندي ما رجَّحه سيد قطب قائلاً:" وهذه قد تكون صلح الحديبية – كما روي عن ابن عباس – لتأكيد معنى أنه فتح ومغنم، وهو في حقيقته كذلك... كما أنها قد تكون فتح خيبر كما روي عن مجاهد ... والأول أقرب وأرجح"[٢]، فقد تحدثت الآية السابقة عن الفتح القريب، وهو فتح خيبر، والغنائم التي سيحصلون عليها منه، وجاء الكلام هنا عن الغنائم الأخرى التي سيحصلون عليها بعد هذا الفتح (صلح الحديبية) الذي كان بوابة للفتوحات بعده، وهذا هو المعنى الأقرب للسياق، ولِمَا سيأتي من ترجيح الآية التي تليها.

(وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ) وفي تفسير هذه الآية أقوال مختلفة على النحو الآتي:

١.كف أيدي اليهود عن أهلكم في المدينة المنورة، وبه قال ابن عطية.[٣]

٢.كف أيدي خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان حين جاءوا لنصرته، فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا، وبه قال الزمخشري، ووافقه عليه أبو السعود، والألوسي.[٤]

٣.كف أيدي قريش عنكم بالصلح يوم الحديبية، وبه قال ابن عباس، وتبعه ابن عاشور، وسيد قطب.[٥]

---

[١] ينظر: الزمخشري، **الكشاف**،ج٥، ص٦،ابن عطية، **المحرر الوجيز**،ج٢٥، ص١٠٨، ابو السعود، **ارشاد العقل السليم**، ج٧،ص١١٠، الألوسي، **روح المعاني**،ج٢٦، ص١٠٩.

[٢] سيد قطب، الظلال، ص٣٣٢٧.

[٣] ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ص١٠٨.

[٤] ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج٥،ص٦، ابو السعود، **ارشاد العقل السليم**،ج٧، ص١١٠، الألوسي، **روح المعاني**،ج٢٦، ص١٠٩.

[٥] ينظر: القرطبي، **الجامع لاحكام القران** ،ج٢٥، ص٢٧٨، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،ج٢٥، ص١٧٧، سيد قطب، **الظلال**، ج٢٦،ص٣٣٢٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والقول الثالث هو الراجح عندي؛ لأنه هو الأنسب للسياق، فقد بين الله تعالى أنه عجل لهم صلح الحديبية وجعله فتحاً وبوابة للخير العظيم القادم بعده، ومن هذا الخير والفضل كفُّ أيدي قريش عنكم ومنعهم من القتال وإراقة الدماء، فكان النصر والفتح دون خسائر، ولقول ابن عاشور:" المراد بالناس أهل مكة جرياً على مصطلح القرآن في إطلاق هذا اللفظ غالباً"، وفي ردِّه على القول بأنها أيدي اليهود:" وهذا القول لا يناسبه إطلاق لفظ الناس في غالب مصطلح القرآن"،[١] وبهذا يبعد القول بأنها أيدي أهل خيبر ومن ناصرهم.

"والكفُّ: منع الفاعل من فِعل أراده، او شرع به، وهو مشتق من اسم الكف التي هي اليد؛ لأن أصل المنع أن يكون دفعاً باليد"[٢]، فمن جزاء الوفاء بالعهد منع اعداء الاسلام عنكم وحمايتكم منهم بقدرة الله وحوله، وقد استحقيتم هذه الغنائم وهذا الكفّ بصدق إيمانكم ووفائكم لله ورسوله ، ولتكون هذه النعم والأفضال ءايةً لكم على حكمة الله تعالى وحسن تدبيره، وصدقه فيما وعدكم به. ففي بادئ الأمر كرهتم هذا الصلح، وحزنتم لأجله ظانِّين أنَّه خسارة وانكسار، فأراكم الله تعالى فضله وما ترتب عليه من نُصرةٍ لكم، وعلوٍّ لمكانتكم، وتمكينكم في الأرض، وكان هذا هو اختيار الله لكم، وفيه بيان لمكانتكم عند ربكم، وفيه آية أيضاً دليل على صدق النبي – صلى الله عليه وسلم – في وعده لكم بالغنائم الكثيرة التي ستأخذونها من الفتوحات التي ستفتحونها، وفي هذا تربية للنفوس على أن ترضى بما قدره الله لها؛ لأن الله تعالى لا يقدر إلا خيراً، ويتم نعمته عليكم بأن يهديكم صراطاً مستقيماً– وقد مر ذكر معناه في المقطع الاول[٣]، وهو: الثقة بفضل الله عليكم، والتوكل عليه في كل امور حياتكم، وتفويضها إليه، والاعتزاز به، وبيان الطريق الصحيح القويم

---

[١] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥،ص١٧٧–١٧٨.

[٢] **المصدر السابق**، ج٢٥، ص١٧٨.

[٣]ينظر الفصل الاول من الرسالة، المقطع الاول، ص٣٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذي يجب أن تسيروا فيه.[1] وجاء التعبير بصيغة المضارعة(وَيَهۡدِيَكُمۡ)؛ للدلالة على الاستمرار والتجدد، فالله تعالى لا يتخلى عن عباده المؤمنين، فكلما ابتعدوا عن الطريق القويم أعادهم إليه وثبتهم عليه حتى يلاقوه وهم على ذلك، وهذا هو الطريق الذى هدى إليه رسوله من قبل، فمن ءامن بمحمد – صلى الله عليه وسلم – لا بد وأن يسير على نهجه القويم؛ لأنه سيكون سبباً في محبة الله تعالى لكم ورضاه عنكم وتوفيقكم لكل ما يحب ويرضى.

وتعود الفاصلة القرآنية لتقرير قاعدة تربوية في التعامل مع الله عز وجل، وهي أنه يجب على المسلم أن يثق بالله تعالى، ويرضى بأقداره؛ لأنها مبنية على سعة علمه وحكمته، فهو أعلم بما يناسب عباده وأحوالهم، وهذه الهداية وهذا الرضى المستقر في القلوب والنفوس من أعظم الجزاء الذي يجازيه الله تعالى لعباده الصالحين.

فهل توقف جزاء الوفاء بالعهد عند تلك النعم؟! لا لم يتوقف، بل استمرت النعم، وكثر الفضل منه جل في علاه ، فوعدهم بمغانم أخرى بقوله تعالى:(وَأُخۡرَىٰ لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا)، وأخرى معطوفة على(هذه)، فعجل لكم فتح الحديبية وهي أكبر مغنم، ومغانم أخرى لم تقدروا عليها، فقال ابن عطية: هو فتح مكة[2]، وقال الزمخشري: هي مغانم هوازن وغزوة خيبر، وتبعه أبو السعود والألوسي[3]، وذكره القرطبي وأبو حيان على لسان ابن عباس: بلاد فارس والروم وما فتحه المسلمون[4]، ووافقه ابن عاشور دون ذكر (ما فتحه المسلمون).[1]

---

[1] ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج٢٥،ص١٠٥، الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٧، ص٩٦، القرطبي، **الجامع لاحكام القران**، ج٢٥،ص٢٧٩، أبو السعود، **ارشاد العقل السليم**، ج٧،ص١١٠.

[2] ينظر:ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج٢٥،ص١٠٩.

[3] : ينظر: الزمخشري، **الكشاف**،ج٥، ص٧، ابو السعود، **ارشاد العقل السليم**، ج٧،ص١١٠، الألوسي، **روح المعاني**،ج٢٦، ص١١٠.

[4] القرطبي، **الجامع لاحكام القران**، ج٢٥،ص٢٧٩، ابو حيان، **النهر الماد**، المجلد ٥،ص٢٠٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا أرى مانعاً من الجمع بين الأقوال كلها، فلم يكن المسلمون قادرين على فتح أيٍ منها إلا بمعونة الله تعالى ونصرته؛ لذلك وصفهم بأنهم لا يقدرون عليها أي: لم تتوقعوا أن تحصلوا عليها، ولو توقعتم فلن تحصلوا عليها إلا بإحاطة الله تعالى بها، (قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَاۚ) "أي: علم أنها ستكون لكم، وحفظها عليكم؛ ليكون فتحها لكم."[٢]

واختتمت الآية الكريمة بقوله تعالى:(وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرًا)، فجاء تقديم الجار والمجرور(عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ) على الخبر(قَدِيرًا)؛ لإفادة القصر، فالقدرة على كل شيء مقتصرة على الله تعالى وحده دون غيره، وجاء اسم الجلالة الله ظاهراّ؛ لبيان أن الذي سيحقق لكم هذه الفتوحات والانتصارات هو الله تعالى العظيم، والقدير:" كامل القدرة، بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته أيدها، وبقدرته سواها، وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئاً، قال له: كن فيكون، وبقدرته يقلب القلوب ويصرفها على ما يشاء ويريد"[٣] وجاءت بصيغة المبالغة؛ للدلالة على عظم قدرته وإحاطته بكل ما في السماوات والأرض وما بينهما، ودل على ذلك أيضاً مجيء (كُلِّ)، فهي تدل على العموم، بعد الكلام عن المغانم والفتوحات الأخرى التي لم تقدروا عليها إلا بقدرة الله تعالى وعلمه وإحاطته، ناسب اختتام الآية بهذا الوصف، فهو القادر على جعل صلح الحديبية فتحاً، والقادر على كف أيدي الناس عنكم، والقادر على حفظ البلاد حتى تفتحوها أنتم، وقادر على نصركم وتأييدكم، فهو على كل شيء قدير.

---

[١] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،ج٢٥، ص١٨١.

[٢] القرطبي، **الجامع لاحكام القران**،ج٢٥، ص٢٧٩.

[٣] آل سعدي، **تفسير أسماء الله الحسنى**، ص٢٢٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝٢٢ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾، ولو قاتلكم أهل مكة- وهم المقصودون بخبر الصلة- يوم الصلح لولوا الأدبار أي: لانهزموا وخسروا، فهم في كلتا الحالتين منهزمون خاسرون، ففي الصلح خسروا هيبتهم ومكانتهم، ولو حصل قتال بينكم لخسروا فيه أيضاً؛ لأن النصر بيد الله العزيز الجبار، فهو يؤيد أوليائه وأصفيائه، ويلقي الرعب في قلوب أعدائه، وبعد الهزيمة لن تجدوا لكم ولياً ولا نصيراً، والولي: هو الذي يتولى أمور الخلائق، وهو مالك التدبير، وهو الذي صرف لخلقه ما ينفعهم في دينهم وأخراهم، ويتولى عباده المؤمنين خصوصاً في إخراجهم من الظلمات إلى النور، ويتولى تربيتهم بلطف[1]" فقد حرموا من نصر الله ومعونته لهم، ومن تولي أمورهم، فلن ينصرهم بأموالهم ولا أولادهم، بعد أن خسروا محبة الله وتوفيقه ومعيته، وتحقيق النصر للمسلمين والهزيمة للمشركين من سنة الله تعالى في خلقه، فمن كان الله وليه وناصره فلا غالب له، ويشهد على ذلك ما كان في سير الأنبياء –صلوات الله وسلامه عليهم وعلى نبينا الأكرم- من نصر ومؤازرة للمؤمنين دائماً، ومن هزيمة المشركين، ثم يبين الله تعالى أن هذه السنة لا تتبدل ولا تتغير، فهي ثابتة أبداً، وهذا من أعظم ما تختتم به الآية لتناسب المقطع القرآني المبارك.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾، وهذا الإله العظيم ناصركم ووليكم أيها المؤمنون، هو الذي كفَّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة أي:" كفٌّ عن القتال يسَّره الله رفقاً بالمسلمين وإبقاءً على قوتهم في وقت حاجتهم إلى ذلك بعد وقعة بدر ووقعة أحد، واتفق المفسرون الأولون على أن هذا الكفَّ وقع في الحديبية...

---

[1] القحطاني، سعيد بن علي، **شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة**، مطبعة سفير- الرياض، د.ط، د.ت، ج١ ص٢١٢-٢١٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجمهور المفسرين حملوا بطن مكة في الآية على الحديبية من إطلاق البطن على أسفل المكان، والحديبية قريبة من مكة، وهي من الِحل وبعض أرضها من الحرم"[١].

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية ثلاث روايات صحيحة وهي كالآتي:

١.عن المسور بن مخرَمة، ومروان، يصَدق كل واحد منهما حديثَ صاحبه، قَالاَ:" خرج رسول – اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – –زَمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق...فَجعل لا يخرج من قريْش رجل قد أسلم إِلَّا لحق بأبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة، فواللَّه ما يسمعون بعير خَرجت لقريش إلى الشام إِلّا اعترضوا لها، فقتلوهم وأخَذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النّبيّ– – صلى الله عليه وسلم – –تناشده باللَّه والرّحم، لمّا أرسل: فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النّبيّ – صلى الله عليه وسلم – إليهم فأنزل اللَّه تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ حتّى بلغ ﴿ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾.[٢]

٢. عن أنس بن مالك: " أنّ ثمانين رجلا من أهل مكّة هبطوا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من جبل التّنعيم متسلّحين، يريدون غرّة النّبيّ– – صلى الله عليه وسلم –– وأصحابه، فأخذهم سلما فاستحياهم، فأنزل الله عز وجلّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.[٣]

---

[١] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،ج٢٥، ص١٨٤–١٨٥.

[٢] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهتد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم(٢٧٣١)، ج٣، ص١٣٩.

[٣] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الجهاد والسير، باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ}، رقم(١٨٠٨)، ج٣، ص١٤٤٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣. عن عبد الله بن مغفّل المزنيّ، قال:" كنّا مع رسول الله -- صلى الله عليه وسلم -- بالحديبية في أصل الشَجرة الّتي قال الله تعالى: في القرآن، وكان يقع من أغصان تلك الشّجرة على ظهر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعليّ بن أبي طالب وسهيل بن عمرو بين يديه، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لعليّ رضي الله عنه: " اكتب بسم الله الرّحمن الرّحيم ". فأخذ سهيل بن عمرو بيده، فقال: ما نعرف الرّحمن الرّحيم، اكتب في قضيّتنا ما نعرف، قال: " اكتب باسمك اللهمّ. فكتب: "هذا ما صالح عليه محمّد رسول الله -- صلى الله عليه وسلم -- أهل مكّةَ". فأمسك سهيل بن عمرو بيده، وقال: لقد ظلمناك إن كنت رسوله، اكتب في قضيّتنا ما نعرف. فقال: " اكتب هذا ما صالح عليه محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب، وأنا رسول الله "، فكتب. فبينا نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شابّا عليهم السلاح، فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فأخذ الله عزّ وجلّ بأبصارهم، فقدمنا إليهم فأخذناهم، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " هل جئتم في عهد أحد، أو هل جعل لكم أحد أمانا؟ " فقالوا: لا، فخلّى سبيلهم، فأنزل الله عز وجلّ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾[1]

وهذه الروايات كلها صحيحة والجمع بينها كلها أولى، فتكون رواية البخاري على وجه العموم في أن الصلح كله كان سبباً في الكف، أما الروايتين الأخريين فكانتا في حوادث خاصة حصلت، وكل رواها حسب ما شهدها.

[1] احمد بن حنبل، **المسند**، رقم(١٦٨٠٠)،ج٢٧، ص٣٥٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ)، والظَّفر: الفوز بالمطلوب، وأظفره الله به وعليه، وَظفّره به تظفيراً [١] أي: إن الله بقوته ونصرته وولايته لكم جعلكم الفائزين عليهم بهذا الصلح الذي ظنَّه بعضُكم هزيمةً وانكساراً.

واختتمت الآية بقوله تعالى:(وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٗا)، وتقديم الجار والمجرور(بِمَا تَعۡمَلُونَ)؛ لإفادة قصر العلم والإبصار بكل ما تعملون في السر والعلن على الله تعالى، والبصير: العالم بخفيات الامور[٢]،وجاء التعبير بالاسم الموصول(ما)،"وما مُبْهمَةٌ تقع على كل شيء"[٣]؛ للدلالة على أنه يعلم كل شيء مهما صَغُر او كَبُر، خفي أو ظهر، ما كان خالصاً لوجهه وما لم يكن، وبصير بحالكم، وبأنكم تحتاجون هذا الفتح والنصر؛ لينصركم على عدوكم، ويمكِّنَكُم في الأرض، وكذلك جاء التعبير بصيغة المبالغة؛ لبيان مدى إبصاره وعلمه بالأمور كلها، ولهذا المعنى أثر عظيم في نفوس المؤمنين، فيظل المؤمن متيقِّظاً لنيَّته عند القيام بالأعمال، فيستشعر مراقبة الله تعالى له في السر والعلن، وقرأ الجمهور (تَعۡمَلُونَ) بالخطاب، وقرأ أبو عمرو بالغيب[٤]، فالله تعالى عليم بصير بكل شيء، علم أن الخير في الصلح وعدم القتال، كما علم ما في قلوبكم

---

[١] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة(ظفر)، ج٤، ص٥١٩.

[٢] الخطابي، **شأن الدعاء**، ج١،ص٦١

[٣] سبويه، عمرو بن عثمان، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ج٤،ص٢٢٨.

[٤] ابن الجزري، **النشر**، ج٢، ص٣٧٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من صدق ووفاء وإيمان وقبول لأوامره وأقداره، وهذا من جميل ما تختم به الآية ومن بديع ما يتناسب مع مقطع الجزاء لأهل الوفاء[1]

ولمَّا وقع التمنُّنُ من الله تعالى على المؤمنين بكفِّ أيدي الكفار عنهم، وقع الانتقال إلى تعيير المشركين وبيان سوء طويَّتهم، بأوصاف لها وقعُها في النفوس، فقال تعالى:﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

فقد جاء الافتتاح بالضمير(هُمُ)؛ لجلب السمع لما سيرد بعده من قول هام، وجملةُ (هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ)، فيها من قصر جنس الكفر على هذا الضمير؛ لقصد المبالغة، كأنهم استحقوا الوصف بكمال الكفر؛ وذلك لصدهم المسلمينَ عن المسجد الحرام – وهذا سُبّة لهم بين العرب – لأنهم كانوا أولى الناس باستقبال المعتمرين وإكرامهم، كما استحقوا الوصف؛ لأنهم منعوا الهدي أن يُذبَحَ في مكانه المخصص له، والمقصود أنهم لما منعوا المؤمنين من أداء العمرة، أمرهم النبي – صلى الله عليه وسلم – بذبح الهدي في الحديبية، فصورهم كأنهم عطلوا بفعلهم شعيرة جليلة من شعائر الله تعالى.[2]

وبعد هذا الوصف لحالهم الشنيعة زادهم الله تعالى أنه لم يكفَّ أيدي المؤمنين عنهم حفاظاً عليهم أو رحمة بهم، بل لوجود رجال ونساء مؤمنين يخفون إيمانهم، فرأفة بحال هؤلاء وبحال

---

[1] ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج٥،ص٧، ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج٢٥،ص١٠٩-١١٠، القرطبي، **الجامع**لاحكام القران، ج٢٥، ص٢٨١، ابو حيان، **النهر الماد**،المجلد٥،ص، ٢٠٦ابو السعود، **ارشاد العقل السليم**،ج٧، ص١١١، الالوسي، **روح المعاني**،ج٢٦،ص١١١، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥، ص١٨٣-١٨٦، سيد قطب، **الظلال**،ج٢٦، ص٣٣٢٧-٣٣٢٨.

[2] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،ج٢٥، ص١٧٨-١٨٨. بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المؤمنين المبايعين أن يقتلوهم ويؤذوهم بغير علم؛ لعدم علمهم بإسلامهم، ثم يشعرون بالندم ولوم أنفسهم على ما فعلوا، أو يُعيِّرُهم أهل قريش من أنهم قتلوا بني جلدتهم ومن هم على دينهم، ولهذه الأسباب منع الله أيدي المؤمنين عنكم، فازدادوا بهذا حرماناً وبعداً عن الله تعالى ومعيته ونصرته ومحبته، وقيل في (مَّعَرَّةُۢ) المأثم في قتلهم أو الدية، فرد ابن عطية على هذا القول:" وهذان ضعيفان؛ لأنه لا إثم ولا دية في قتل مؤمن مستور الإيمان من أهل الحرب".[١]

ليدخل من يشاء في رحمته، واللام في (لِّيُدۡخِلَ) لتعليل سبب كف الأيدي ومنع القتال، من أن من أسبابه أيضاً بالإضافة إلى ما سبق، إدخال من يشاء في رحمته تعالى وهي تشمل هؤلاء المؤمنين والمؤمنات المستضعفين، كما تشمل المؤمنين الذين بايعوا النبي – صلى الله عليه وسلم – بأن يرحمهم بعدم إلحاق المعرَّة بهم، ويرحم المشركين الذين كان مقرراً بعلمه أنهم سيهتدون بعد هذا الفتح ويدخلون الإسلام، "(مَن يَشَآءُۚ)، يعم كل من أراد الله من هذه الحالة رحمته في الدنيا والآخرة أو فيهما معاً، ولما فيه من شمول أصناف كثيرة، ولما فيه من الإيجاز، ولما فيه من الإشارة إلى الحكمة التي اقتضت مشيئة الله رحمة أولئك".[٢]

ولو تفرق هؤلاء المؤمنون عن المشركين، لعذب الله تعالى المشركين بقتال المسلمين لهم بالسيوف، وانتصارهم عليهم في الدنيا، ولعذبهم في الآخرة عذاباً أليماً.[٣] والعذاب الأليم: هو الموجع كما مر سابقاً، فالعذاب يكون في الدنيا بانهزامهم وخسرانهم من المؤمنين، وفي الآخرة من عذاب جهنم وبئس المصير، فانتهت الآية الكريمة ببيان رحمات الله على من أوفى بعهده مع الله –

---

[١] ابن عطية، **المحرر الوجيز**،ج٢٥، ص١١٤.

[٢] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥، ص١٩١.

[٣] ينظر: الزمخشري، **الكشاف**،ج٥، ص٨، الألوسي، **روح المعاني**،ج٢٦، ص١١٥، سيد قطب، **الظلال**، ج٢٦،ص٣٣٢٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حتى وإن كان بعد الفتح وبعد التولي- وبيان عذاب من تولى وبقي على توليه وكفره وبعده عن نصرة الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام، وبهذا يظهر التناسب والترابط بين الفاصلة وسياقها، كما يظهر بينها وبين المقطع الذي جاءت به من جزاء الوفاء بالعهد، وعقاب المتخلِّف عن هذا العهد.

وتابع الله عز وجل وصف هؤلاء الكافرين بأنهم جعلوا في قلوبهم حمية الجاهلية في صدهم للمسلمين عن مكة، وفي رفض سهيل بن عمرو كتابة (بسم الله الرحمن الرحيم) و(محمد رسول الله) ، والاكتفاء (باسمك اللهم) و(محمد بن عبد الله)، فما هذا إلا من الجاهلية الأولى، فقال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ " وإذ ظرف متعلق بفعل صدوكم أي: صدوكم صداً لا عذر لهم فيه ولا داعي إليه إلا حمية الجاهلية، والحمية : هي الأنفة أي: الاستنكاف عن أمر لأنه يراه غضاضة عليه وأكثر إطلاق ذلك على استكبار لا موجب له"[1]

روى البخاري في صحيحه من طريق المسور بن مخرمة :" ... فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا النبي – صلى الله عليه وسلم – الكاتب، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –:(بسم الله الرحمن الرحيم)، قال سهيل: أما الرحمن، فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب (باسمك اللهم) كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا(باسم الله الرحمن الرحيم)، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: اكتب باسمك اللهم، ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥،ص١٩٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

محمد بن عبد الله، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: والله إني لرسول الله، وإن كذبتموني، اكتب محمد بن عبد الله – قال الزهري: وذلك لقوله: (لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها) – فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم –: على أن تخلوا بيننا وبين البيت، فنطوف به، فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أُخِذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل...".[١]

فلما حكّموا الجاهلية في تصرفاتهم واتخاذهم للقرارات، أنزل الله تعالى سكينته في قلوب النبي – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين، وهنا ملمح جميل في أن الله تعالى أضاف السكينة إلى الضمير العائد عليه تشريفاً؛ لأنها من الأخلاق الفاضلة، والسكينة:" ملك يُسَكِّنُ قلب المؤمن ويؤمّنه"[٢]، وأضاف الحمية إلى الجاهلية بقصد تحقيرها وتشنيعها، والحمية:" القوة الغضبية إذا ثارت وكثرت[٣]".[٤]

لقد تكرر فعل إنزال السكينة الآيات الكريمة، فما السر وراء ذلك؟!

السكينة: هي الطمأنينة والثبات والأناة، فالنبي – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنون قلوبهم مليئة بمحبة الله تعالى، وراضية بقضائه وقدره، فهذه القلوب الطاهرة في هذه الظروف الصعبة التي يحار فيها الإنسان من أن هذه الأمور التي تحصل هل هي بمثابة النصر أم لا؟، وهل هي فتح أم لا؟ وأقصد هنا (قلوب معظم المؤمنين؛ لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان عالماً بنتائج

---

[١] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم(٢٧٣١)، ج٣، ص١٩٣.

[٢] الراغب، **المفردات**، ص٤١٧.

[٣] **المصدر السابق**، ص٢٥٩.

[٤] ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٧,١٠٢، والألوسي، **روح المعاني**، ج٢٦، ص١١٨، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥، ص١٩٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأمور، مطمئناً لقضاء الله ، ومعه بعض الصحابة، مثل أبي بكر رضي الله عنه)، فكانت تأتي السكينة بين الحين والآخر وتتنزل في قلوبهم، لتثبيتهم وبث الرضا والتسليم في قلوبهم لكل الأحداث التي تحدث حولهم، حتى وصلوا إلى مرحلة اليقين الكامل في أن كل ما يحصل هو نصر لهم، وتثبيت وتمكين في الأرض، وهذا من فضل الله تعالى عليهم.

وبعد هذا الفضل العظيم ألزمهم كلمة التقوى، وكلمة التقوى: هي لا إله إلا الله؛ في قول جمهور المفسرين[١]، ولما جاء في الترمذي من حديث أبي بن كعب عن النبي – صلى الله عليه وسلم –:" (وألزمهم كلمة التقوى) ، قال:لا إله إلا الله"[٢]. وكذلك ما جاء في مسند أحمد عن حمران بن أبان، أن عثمان بن عفان قال:" سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه، إلا حرم على النار، فقال له عمر بن الخطاب: أنا أحدثك ما هي، هي كلمة الإخلاص التي ألزمها الله تبارك وتعالى محمداً – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه، وهي كلمة التقوى التي ألاَصَ عليها نبي الله – صلى الله عليه وسلم – عمه أبا طالب عند الموت: شهادة أن لا إله إلا الله"[٣].

ولمناسبتها للسياق، فألزم الله تعالى المؤمنين التقوى أي: جعل كلمة التقوى لازمة لهم لا يفارقونها؛ لأنها هي سبب ثباتهم وسبب إنزال السكينة في قلوبهم، فبكلمة التوحيد وبالإخلاص نصرهم الله تعالى وأيدهم وثبتهم، فهم أحق بها من المشركين الصادين عن الله ورسوله، وهم أهل

---

[١] الطبري، **جامع البيان**،ج٢٥، ص١٢٠، ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج٢٥،ص١١٦، ابو حيان، **النهر الماد**،المجلد٥، ص٢٠٧، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ٢٥، ص١٩٥.

[٢] الترمذي، **سنن الترمذي**، ابواب تفسير القران، باب من سورة الفتح، رقم(٣٢٦٥)، ج٥، ص٣٨٦. حكم الترمذي(هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن قزعة، وسألت ابا زرعة عن هذا الحديث فلم يعرفه مرفوعاأ إلا من هذا الوجه)، وحكم الألباني(صحيح).

[٣] ابن حنبل، احمد بن محمد، **المسند**، مسند عثمان بن عفان، رقم(٤٤٧)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وأخرون، مؤسسة الرسالة، د.م، ط١١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ج١ص٤٩٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لها أي: المستأهلين لها، بمعنى أنهم كانوا أهل هذه الكلمة؛ لأنها تناسب ضمائرهم وما انطوت عليه قلوبهم.[١]

وقال الزهري عن المسور ومروان: هي بسم الله الرحمن الرحيم[٢]، وتبعه الزمخشري[٣]، وجاء عن الحسن –رضي الله عنه–: هي الوفاء العهد[٤]، وهذان القولان مستبعدان؛ لبعدهما عن معنى السياق، فقال ابن عطية:" ولا إله إلا الله أحق باسم(كلمة التقوى)، من بسم الله الرحمن الرحيم"[٥]، وفي قول (الوفاء بالعهد) يكون الإلزام بمعنى الإيجاب أي: أمرهم أن يفوا بعهدهم مع المشركين ولا ينقضوه، وهذا بعيد أيضاً؛ لأن كلمة التقوى أعم من الوفاء بالعهد، فما هو إلا فرع متفرع عنها، فمن كانت التقوى في قلبه، والإخلاص صفته سيفي بالعهد لا محاله.

وبعد الحديث عن حال قلوب المشركين، وما ملأها من حمية الجاهلية، والتكبر والعناد الذي منعهم من الاعتراف بالنبي – صلى الله عليه وسلم – ورسالته، وبصدِّهم المؤمنينَ عن المسجد الحرام، وفي المقابل حال قلوب النبي – صلى الله عليه وسلم – وقلوب المؤمنين وما يملؤها من التقوى والسكينة والثبات على كلمة التقوى، جاءت الخاتمة المميزة لهذا الكلام بأن وصف الله تعالى نفسه (وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا)، وفيها تقديم الجار والمجرور(بِكُلِّ شَيۡءٍ) على خبر كان (عَلِيمًا)؛ للدلالة على قصر العلم بكل شيء على الله تعالى، فلا أحد يعلم كل شيء إلا الله وحده، فهم عليم بقلوب الفريقين وما تحويه هذه القلوب، وعليم بأن كل هذه الأحداث ستصبُّ في مصلحة

---

[١] ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج٢٥، ص١١٧، الألوسي، **روح المعاني**، ج٢٦، ص١١٩، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥، ص١٩٧.

[٢] ابن عطية، **المحرر الوجيز**،ج٢٥، ص١١٧.

[٣] الزمخشري، **الكشاف**، ج٥، ص٨.

[٤] **المصدر السابق**، ص٨.

[٥] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج٢٥،ص١١٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإسلام والمسلمين، ويعلم ما يستحقه كل وما هو أهل له، فلا أحد يعلم خفايا الأمور ومآلاتها إلا الله تعالى .

ولعل من أفضل ما يجازي به الله عباده المؤمنين أن ينظر إلى قلوبهم ويقدر أقداره بناء على ما وجد فيها، فإن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وهذا ما يناسب المقطع القرآني الذي جاء فيه، بالإضافة إلى القيم التربوية التي ظهرت في هذا المقطع من التوجيه إلى الاهتمام بالقلب فهو محط نظر الله تعالى، والرضى بقضاء الله تعالى دائماً؛ لأنه لا يقدر إلا خيراً، والاطمئنان إلى علم الله وإحاطته بالأمور كلها.

المبحث الثاني: البشارة بتحقيق رؤيا الرسول – صلى الله عليه وسلم – .

افتتح المقطع الكريم ببشارة تحقيق الرؤيا، فأخبر الله تعالى أنه صدق رسوله الرؤيا بالحق أي: صدقه في رؤياه ولم يكذبه، فأراه الرؤيا الصادقة التي تحققت فيما بعد بأنهم سيدخلون المسجد الحرام آمنين من المشركين ومحلقين ومقصرين، وهي من أعمال العمرة، وكان هذا في ذي القعدة من سنة سبع الهجرة– أي العام التالي– لصلح الحديبية، فقال تعالى:﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾(الفتح:٢٧-٢٨).

والقول في (إِن شَآءَ ٱللَّهُ)، هوالتعليق من الله تعالى بالمشيئة لتعليم العباد.

(فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فعلم الله عز وجل ما لم تعلموا من حقائق الأمور كلِّها، من أن هذا الصلح كان هو النصر والفتح والخير كله مترتب عليه، وعلم حال المؤمنين في مكة حين كف أيديهم عن المشركين، وأيدي المشركين عنهم، كما علم أن الإسلام سيظهر بعد هذا الفتح وينتشر في كل بقاع الأرض، فجعل من قبل ذلك فتحاً قريباً، وقيل فيه هو صلح الحديبية[١]، وقيل هو فتح خيبر[٢]، والأحسن الجمع بين القولين؛ لأن الله تعالى لم يخصص ذكر أحدهما دون الآخر، فكلاهما كان فتحاً وباباً للخير المقبل بعده.[٣]

وعاود الله تعالى اختتام الآية بالفتح القريب، وأسماه فتحاً؛ لما فيه من خير على المسلمين والأمة الإسلامية، ومن كونه بوابة للفتوحات الأخرى، ومصدراً للغنائم والخيرات، ووصفه بالقريب؛ لقرب تحققه قبل دخول مكة وأداء العمرة التي كانت تحقيقاً لرؤيا الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، وإثباتاً لصدقه وصدق ما يخبر به، ثم ذكرت الآية أن هذا النبي الذي صدقه الله الرؤيا وأيده، هو نفسه الذي أرسله إلينا بالهدى ودين الحق أي: أرسله هادياً للناس ملتبسا بالهدى، وداعياً إلى الدين الحق– الدين الإسلامي الحنيف – ليظهره الله على كل الأديان الوضعية على اختلاف أشكالها، فهو خاتم الأديان الذي سيظل إلى يوم القيامة، فقد ظهر هذا الدين حقاً بعد الصلح، فانتشر في بقاع الأرض كلها، ولا زال يظهر حتى اليوم، وسيظل يظهر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.[٤]

---

[١] ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج٢٥،ص١٢٤، القرطبي، **الجامع لاحكام القران**، ج٢٥،، ص٢٩١.

[٢] ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج٥،ص٩، ابو السعود، **ارشاد العقل السليم**، ج٧،ص١١٢، الالوسي، **روح المعاني**، ج٢٦،ص١٢٢، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥،ص٢٠١.

[٣] الطبري، **جامع البيان**، ج٢٥،ص١٢٥.بتصرف.

[٤] ينظر: ابو السعود، **ارشاد العقل السليم**، ص١١٢، الالوسي، روح المعاني، ص١٢٢، سيد قطب، الظلال، ص٣٣٣١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجاء الختام بأعظم ما يكون(وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا)، فجاء التعريض باسم الجلالة؛ لبيان العظمة والجلال في هذا الموقف، من أن الله تعالى بجلاله سيشهد لك، والشهيد: المطلع على جميع الأشياء، سمع جميع الأصوات خفيها وجليها، وأبصر جميع الموجودات دقيقها وجليلها، صغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء، الذي شهد لعباده وعلى عباده بما عملوا [1]، وفي هذا شرف وفخر لك يا محمد، ومواساة لك بأنه حتى لو كذبك أهل الأرض جميعاً، فيكفيك أن الله تعالى شاهد لك بصدق نبوتك، وشاهد على صدق وعوده التي وعدك إياها، وأنه محققها لك لا محالة، وهذا أنسب ما يختم به مقطع البشارة بتحقيق الرؤيا، ولعل أظهر صفة في الكلمة هي صفة التفشي في الشين، فعند النطق بها ينتشر الهواء في الفم، وكأنها تصور حالك يا محمد والله عزَّ وجلَّ معك ويشهد على صدقك وصدقه معك، وحالة الاعتزاز والفخر التي تشعر بها بعد هذه البشارة، فلا يحزنك كلام أحد ما دام الله تعالى بجلاله معك.

المبحث الثالث: التكريم الإلهي لأصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم –.

بعد الحديث عن حال المشركين من عدم اعترافهم برسالة محمد – صلى الله عليه وسلم –، وبذكر شهادة الله تعالى لنبيه – صلى الله عليه وسلم – بصدق نبوته، وأن الدين سيظهر على الأديان كلها، جاء الكلام عن هذا النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه الكرام، فبدأ الكلام بإقرارٍ من الله تعالى بأن محمداً رسول الله، رداً على من أنكروا هذا القول ورفضوا كتابته في الوثيقة، هآ أنا أخبركم أنه رسول الله رغماً عنكم، وهؤلاء الأكارم الذين معه، أصحاب الحديبية والمؤمنون كلهم الذين يكونون معه بالطاعة والتأييد، هم أشداء على الكفار أي: شديدون في قتالهم

[1] آل سعدي، **تفسير أسماء الله الحسنى**، ص٢١١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإظهارهم العداوة لهم، فهذه الشدة لله تعالى، وهي الحمية للعقيدة تمنعهم من اللين والرحمة بأعداء الله، حتى لو كانوا آباءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم.[1]

قال تعالى:﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾(الفتح:٢٩)

وفي المقابل هم رحمآء بينهم، يتراحمون ويتعاطفون ويتعاونون على البر والتقوى، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وهذا كله لله أيضاً، فهم إن أحبوا أحبوا لله، وإن أبغضوا فله. ثم انتقل إلى تكريمهم بوصف معبر يليق بهم، وهو أنك يا محمد، ويا أيها السامع والقارئ تراهم في كل حين ركَّعاً سجَّداً، هذا هو حالهم وهذه هي صفاتهم، وجاء الوصف بصيغة المضارع في (تَرَىٰهُمْ)؛ للدلالة على تجدد الفعل وتكرره منهم، وفي هذا ثناء عظيم عليهم، فهم يقبلون على أعمال الخير في كل حين، و يصلُّون الصلاة المفروضة ويتبعونها بالنوافل وصلاة القيام، والوصف يشتمل على كل العبادات، فمن كان هذا حاله في الصلاة، فلا بد أن حاله في العبادات الأخرى سيكون على نفس الهيئة، ومن صلُحت صلاته صلُح سائر عمله، ومن فسدت صلاته فسد سائر عمله.

ولما انتهى من وصف حالهم الخارجية، انتقل إلى وصف حال قلوبهم حيث قال: (يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ) أي: هذا الركوع والسجود المتكرر الذي عبر عنه بصيغة المبالغة، لم يكن

[1] ينظر: سيد قطب، **الظلال**، ج٢٦، ص٣٣٣٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رياءً ولا نفاقاً، بل كان خالصاً لوجه الله تعالى، والقصد منه ابتغاء مرضاته وفضله في الدنيا والآخرة، فحين تمتلئ القلوب بالإيمان والطاعة والمحبة لله تعالى، تظهر هذه المحبة على الجوارح بكثرة التعبد والتقرب لهذا المحبوب صاحب الفضل والمنة، فهو من هداهم، وهو الذي أيَّدهم ونصرهم، وهو الذي يزيدهم من فضله، ثم يتقبل منهم ويؤتيهم أجراً عظيماً، أليس هذا كلُّه من تكريم الله تعالى لهم؟! بلى إنه من أعظم اشكال التكريم الإلهي للمؤمنين الصادقين.[١]

ويُتِمُّ الله تكريمه للمؤمنين في الدنيا والآخرة، فتظهر في وجوههم سمات، وهذه السمات في أقوال المفسرين على النحو الآتي:

١.في الدنيا: وعلى هذا القول تكون العلامات الظاهرة في وجوههم على نوعين، أولها أنها أثر يشبه الكي يكون في جباههم من كثرة السجود، وبه قال مالك بن أنس، وعكرمة، وابو العالية، وهذا بعيد لأنه ليس شرطاً ظهوره، فكم من الصالحين الأتقياء لم يصلنا أن في وجوههم علامة كهذه. ثانيها: نور يضيء وجوههم من أثر الخشوع، وبه قال الأعمش، والحسن، وعطاء، ومجاهد، والضحاك، والربيع.

٢.في الآخرة: وهو البياض الذي يظهر في وجوههم من أثر عبادتهم، وأثر الوضوء في الدنيا، لقوله تعالى:(**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ**)(آل عمران:١٠٦)، وبه قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، والزهري[٢]

وما أجمل أن نجمع بين الأقوال كلها عدا الأول؛ لأنها كلها تصب في قالب واحد، فمن أكثر من السجود والركوع بخشوع وخضوع لله تعالى، سينير الله تعالى وجهه، لما رأى من صدق في

---

[١] ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**،ج٢٥، ص١٢٢-١٢٦، الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٧، ص١٠٧، الالوسي، **روح المعاني**، ج٢٦،ص١٢٣-١٢٦، ابن عاشور، **التحريروالتنوير**، ج٢٥،ص٢٠٤-٢٠٦، سيد قطب،،**الظلال**، ج٢٦،ص٣٣٣٢

[٢] ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج٢٥،ص١٢٣، الالوسي، **روح المعاني**،ج٢٦، ص١٢٥، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،ج٢٥، ٢٠٥-٢٠٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قلبه، كما أن الخشوع وعبادة الليل تضفي جمالاً وضياءً خاصاً على وجه العابد، لا يظهر في وجه العاصي، ثم ينير الله لهم وجوههم يوم القيامة، ويجعل لهم نورا يسعى بين أيديهم ينير لهم الصراط المستقيم، وإن كان هذا مترتب على الأول، فمن كان هذا حاله في الدنيا، فلا بد أن هذا حاله في الآخرة.

وجاءت في التوراة البشارة بمجيء محمد – صلى الله عليه وسلم –، ووصف أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم –، فقال ابن عاشور: "والذي وقفنا عليه في التوراة مما يصلح لتطبيق هذه الآية هو البشارة الرمزية التي في الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية من قول موسى عليه السلام: (جاء الرب من سينا، وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القُدُس، وعن يمينه نار شريعة لهم، فأحب الشعب جميع قديسيه وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من أقوالك). فإن جبل فاران هو حيال الحجاز، وقوله(فأحب الشعب جميع قديسيه)، يشير إليه قوله (رحماء بينهم)... وقوله(قديسيه) يفيد معنى (تراهم ركعاً سجداً)، ومعنى(سيماهم في وجوههم من اثر السجود)، وقوله في التوراة(جالسون عند قدمك) يفيد معنى قوله تعالى(يبتغون فضلاً من الله ورضواناً)".[1]

أما وصفهم في الإنجيل فقد جاء بصورة أخرى جميلة ومعبرة، وإن كانت تتبع من نفس المصدر، إلا أنها جاءت بكلمات مختلفة وتشبيهات بليغة، فجاء التشبيه بالزرع؛ لما فيه من دلائل عجيبة على قدرة الله تعالى التي تتناسب مع هذه السورة الكريمة، التي تحقق فيها كل ما تحقق بعلم الله وقدرته وحكمته، ولما في الزرع من بركة وخير ونمو واخضرار يصلح لوصف حال المؤمنين وحال قلوبهم.

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥،ص٢٠٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا)

والشطءُ: شطءُ النبات: وهو ما خرج من حول الأصل[١]، وقرأها الجمهور بإسكان الطاء، وقرأها ابن كثير وابن ذكوان بفتح الطاء. وقرأ ابن ذكوان فآزره بقصر الهمزة، واختلف عن هشام فروى الداجوني عن أصحابه عنه كذلك، وروى الحلواني عنه المد، وبه قرأ الباقون.[٢]

والتشبيه في الآية الكريمة في أقوال المفسرين على قسمين:

- أنه تشبيه للمؤمنين، فهم كانوا في بداية الدعوة الإسلامية كمثل الزرع الذي يخرج ضعيفاً، ويخرج حوله نبات صغير يقويه، ويظل يكبر ويقوى حتى يستغلظ ويستوي على سوقه، فيعجب الزراع لقوته وجوده وهم كذلك، ظل الله تعالى يقويهم وينصرهم ويرفع شأنهم، حتى صارت لهم مكانة عظيمة بين الناس، كل من يراهم يعجبه حالهم.[٣]
- أنه تشبيه للنبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه، فالنبي هو الزرع الذي كان ضعيفاً في البداية، ثم قوي بالمؤمنين، وبمناصرتهم وتأييدهم له، وقوي دينه حتى انتشر واستحكم وتمكن في الأرض.[٤] وأورد ابن عطية عن ابن عباس:" الزرع: النبي – صلى الله عليه وسلم –، فآزره علي بن أبي

---

[١] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، مادة(شطأ)، ج٣، ص١٨٥.

[٢] ابن الجزري، **النشر**، ج٢، ص٣٧٥.

[٣] ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ص١٠٨، ابو حيان، النهر الماد، ص٢٠٩.

[٤] الكشاف، **الزمخشري**، ج٥،ص١٠، القرطبي، **الجامع لاحكام القران**، ج٢٥،ص٢٩٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طالب – رضي الله عنه– فاستغلظ بأبي بكر– رضي الله عنه– فاستوى على سوقه بعمر بن الخطاب".[١]

وأميل إلى الجمع بين القولين من أن المقصود بالزرع هو محمد والمؤمنون من حوله، فهم جميعاً كانوا في البداية ضعفاء، فقوَّى بعضهم بعضاً، و ثبتوا حوله ونصروه وأيدوه فقوي بهم، وقوي دينه كذلك واستحكم في الأرض، وأصبح مثل ساق الزرع القوي الغليظ المستقيم، الذي لا اعوجاج فيه ولا انحناء، وهذا هو حال النبي – صلى الله عليه وسلم – مع أصحابه – رضوان الله عليهم أجمعين – من بداية الدعوة السرية، وحال الضعف الذي كان في مكة ، وما عانوه في الهجرة من التعب والمشقة، حتى تأسيس الدولة في المدينة المنورة، وبداية الظهور والقوة في غزوة بدر ثم أحد، والانتصارات المتتالية التي تحققت ، وصولاً لصلح الحديبة وفتح مكة، حتى حكموا العالم كله وظهر دينهم على كل أديان الدنيا، كما أن هذا الوصف جاء في الإنجيل، ولم يكن ليجيء وصف المؤمنين والبشارة بهم دون وصف النبي – صلى الله عليه وسلم – ،والبشارة تكون به أولاً ثم بأصحابه.

وهذا الزرع القوي المستقيم، يعجب الزراع أي: أصحاب الخبرة الذين يعرفون الزرع الأصلي عالي الجودة، الذي ينبت ويثمر أجمل الثمار، فيعجبهم هذا الزرع، وهذا ما كان من حال النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه الكرام، ودينهم الذي لا يعرفه احد حق المعرفة إلا أُعجب به وءامن، وقرأ الجمهور (سوقه) بغير همز الواو، وقرأ قنبل بهمز الواو(سؤقه).[٢]

---

[١] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج٢٥،ص١٢٧.

[٢] ابن الجزري، **النشر**، ج٢، ص٣٣٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ)، متعلق بمحذوف تقديره، جعلهم بهذه الصفة ليغيظ بهم الكفار أي: لكي يغتاظ الكفار من زيادتهم، وقوتهم، ونصر الله لهم، ورفع مكانتهم في الدنيا والآخرة، فهم يستحقون أن يزرع هذا الغيظ في قلوبهم التي كانت تتمنى موت النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه، وهزيمتهم وانتهاء أمر دينهم، فحصل عكس ما تمنوا، فامتلأت قلوبهم غيظاً، قل موتوا بغيظكم.

واختتمت الآية الكريمة بوعد جديد من الله تعالى للمؤمنين، وتكريم جميل خاص بهم، ووصفهم بالذين ءامنوا وعملوا الصالحات، أي هؤلاء المؤمنون الذين ءامنوا بقلوبهم، ثم ظهر الإيمان على جوارحهم بالأعمال الصالحات، ومؤازرتهم للنبي ، ومعاونته، والقتال معه، وفدائه بأنفسهم وأموالهم، وقوله (منهم) للجنس لا للتبعيض أي: من هذا الجنس، فهذا الوعد لكل من ءامن وعمل الصالحات، وهذا الوعد كان بمغفرة الذنوب، فالله تعالى يلهمنا التوبة والاستغفار، فإن استغفرنا يغفر لنا، وهذا من تكريمه لعباده الصالحين، وليته توقف عند هذا الفضل، بل توسع في كرمه بان اعطاهم بعد المغفرة أجراً عظيماً.[1]

وقد استحق المؤمنون هذا الأجر العظيم على إيمانهم، وأعمالهم الصالحة، وصبرهم على الأذى، والمشقة، والهجرة، والقتال، وعلى فراقهم لأولادهم وأزواجهم، ولزهدهم في الدنيا، ولطهارة قلوبهم وإخلاصهم، وامتلاء قلوبهم بمحبة الله تعالى ورسوله، ولدعائهم في الليل والنهار أن يغفر الله لهم، وأن يدخلهم الجنة، وأن يجعلهم رفقاء النبي – صلى الله عليه وسلم – في الفردوس الأعلى، فهذا الأجر العظيم لكل ما سبق، أنتم تستحقونه لتعبكم في الحياة الدنيا، ولأن الله عادل جواد لن يضيع تعبكم أبداً.

---

[1] ينظر: الزمخشري، **الكشاف**،ج٥، ص١٠، ابن عطية، **المحرر الوجيز**،ج٢٥، ص١٢٨، الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٧،ص١٠٩،القرطبي، **الجامع**، ج٢٥،ص٢٩٥، ابو حيان، **النهر الماد**،المجلد٥، ص٢٠٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد جاء هذا الوصف سابقاً مع المؤمنين أيضاً، فجاء نكرةً منوناً؛ حتى لا يضيق في ذهن القارئ والسامع، فهذا الأجر لا حدود ولا تصورله في عقول البشر، فهو أعظم وأكبر وأجمل من كل ما رأيتموه وسمعتموه وخطر على قلوبكم، فيظهر في هذه الفاصلة الترابط المتين بينها وبين المقطع الذي جاءت به من التكريم الإلهي لأصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم –.

وبهذا الفضل العظيم والتكريم الإلهي اختتمت السورة الكريمة العظيمة، فقد بدأت بالمنح الإلهية للنبي – صلى الله عليه وسلم –، وببشارة الله للمؤمنين بأفضاله عليهم، وانتهت بوصفهم جميعاً أجمل الوصوف، وبيان فضلهم وتكريم الله لهم، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على ترابط السورة الكريمة في آياتها ومقاطعها وموضوعاتها كما سيظهر لنا في الفصل الثالث.

الفصل الثالث: أوجه التناسق بين الفاصلة القرآنية وموضوعات سورة الفتح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول: مناسبة الفاصلة القرآنية لمواطن المنَّة والفضل من الله تعالى على نبيه – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين وذكر صفاتهم.

المبحث الثاني: مناسبة الفاصلة القرآنية لمواطن التخلُّف عن نصرة الدين وفضح المخَّلفين والمنافقين.

المبحث الثالث: مناسبة الفاصلة القرآنية لمواطن البَيْعة والتَّمكين في الأرض.

المبحث الأول: مناسبة الفاصلة القرآنية لمواطن المنَّة والفضل من الله تعالى على نبيه – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين وذكر صفاتهم.

كان الحديث في الفصلين السالفين عن مناسبة الفاصلة القرآنية للسياق، ثم للمقطع القرآني الذي وردت فيه. وتشتمل السورة الكريمة على عدة موضوعات كلها تصبُّ في قضية واحدة وهي أحداث

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صلح الحديبية، فاشتملت على ثلاثة موضوعات رئيسة، وهي المنَّة والفضل من الله تعالى على نبيه – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين وذكر صفاتهم، والتخلُّف عن نصرة الدِّين وفضح الْمخَلَّفين والمنافقين، والبيعة والتمكين في الأرض. وكل المقاطع الواردة في الفصلين الأولين تندرج تحت هذه المواضيع.

وهذه المواضيع كلها تندرج تحت صلح الحديبية، وما حصل بعده من فتوحات وتمكين في الأرض، وإن دلَّ هذا على شيء، فإنما يدل على وحدة النَّسق في سورة الفتح، فهي جميعها تدور حول موضوع رئيسٍ واحدٍ، وإن كان في الظاهر اشتمالها على أكثر من موضوع، ناهيك عن تناسب الفاصلة فيها مع السياق والمقطع والموضوع تناسباً مضطرداً، مرتبطاً بها ارتباطاً وثيقاً، مصوِّراً لنا عدة صور ومشاهد مختلفة ستظهر جماليتها وإبداعها أكثر في هذا الفصل بحول الله وقوته.

والمنُّ:" منَّ يمنُّ منًّا : إذا صنع صنعاً جميلاً"[1]، و"منَّ عليه: أنعم".[2] وقد ظهر منُّ الله تعالى على رسوله – صلى الله عليه وسلم – في مواطن كثيرة في القرآن الكريم، واتخذ هذا المنُّ أشكالاً وصوراً مختلفة، فقد كان قبل مولد النبي – صلى الله عليه وسلم –، حيث أخذ الله تعالى ميثاق الأنبياء بأن يصدِّقوا محمداً عليه السلام، وينصروه إن كانوا أحياءً، أو يأمروا أقوامهم بذلك إن لم يكونوا أحياءً، وذلك بقوله تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ﴾ (آل عمران: ٨١)." فالله تعالى أخذ ميثاق النبيين بأن يأخذوا الميثاق على أممهم بأن يؤمنوا بمحمد – صلى الله عليه وسلم –، ويصدِّقوه، وينصروه إذا أدركوه، وقال

---

[1] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، مادة(منَّ)، ج٥، ص٢٦٧.

[2] الرازي، **مختار الصحاح**، مادة(م ن ن)، ص٢٩٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعضهم: أراد أخذ الله الميثاق على النبيين، وأممهم جميعاً في أمر محمد فاكتفى بذكر الأنبياء؛ لأن العهد مع المتبوع عهد على الاتباع.[١]

ثم جاء المنُّ بالهداية بقوله تعالى:﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾(الضحى:٧). ومن أجمل ماقيل في تفسير الآية قول ابن عاشور:" والضلال: عدم الاهتداء إلى الطريق الموصل إلى مكان مقصود سواء سلك السائر طريقاً آخر يبلغ إلى غير المقصود، أم وقف حائراً لا يعرف أي طريق يسلك، وهو المقصود هنا؛ لأن المعنى: أنك كنت في حيرة من حال أهل الشرك من قومك، فأراكه الله غير محمود وكرَّهه إليك، ولا تدري ماذا تتبع من الحق، فإن الله لم أنشأ رسوله – صلى الله عليه وسلم – على ما أراد من إعداده لتلقي الرسالة في الإبَّانِ، ألهمه أن ما عليه قومه من الشرك خطأ، وألقى في نفسه طلب الوصول إلى الحق ليتهيأ بذلك قبول الرسالة عن الله تعالى، وليس المراد بالضلال هنا اتباع الباطل؛ فإنَّ الأنبياء معصومون عن الإشراك قبل النبوة باتفاق علمائنا."[٢]

وقال البيضاوي:" ووجدك ضالاً عن علم الحكم والأحكام، فهدى: فعلمك بالوحي والالهام والتوفيق للنظر."[٣]

وفي هذين الأمرين منٌّ وتفضُّل وتكرُّم من الله تعالى على رسوله الأكرم – صلى الله عليه وسلم –، وجاءت المنَّة أيضاً في جعل طاعته من طاعة الله تعالى وهي واجبة على المؤمنين، وظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾(النساء:٨٠)، فبين الله تعالى أن طاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – من طاعة الله تعالى، فكل

---

[١] البغوي، الحسن بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، د.م، ط٤، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ج٢، ص٦٢

[٢] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،ج٣٠، ص٤٠٠

[٣] البيضاوي، عبد الله بن عمر، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار احياء التراث العربي، بيروت،د.ط، ١٤١٨هـ، ج٥، ص٣١٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ما يأمر به النبي – صلى الله عليه وسلم – فهو من أمر الله تعالى، وكل ما ينهى عنه فهو من نهي الله تعالى يقول أحد أن محمداً بشر مثلنا يريد أن يتفضل علينا.[1]

وبعدها جاء التمنُّن بتولي الله تعالى لنبيه – صلى الله عليه وسلم – وحفظه بقوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾ (المائدة:٦٧)، "ويعصمك من الناس: يحفظك ويمنعك من الناس، فإن قيل: أليس قد شج رأسه وكسرت رباعيته وأوذي بضروب من الأذى؟ قيل: معناه يعصمك من القتل فلا يصلون إلى قتلك."[2]

أمَّا المنَّة والفضل على المؤمنين فله أشكال مختلفة أيضاً جاءت في كثير من الآيات القرآنية، فأول ما ظهر التمنُّن على المؤمنين ظهر في اصطفائهم ليكونوا أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم –، وعباد الرحمن الذين اختارهم لحمل الرسالة مع النبي – صلى الله عليه وسلم –، وتحمُّل التعب والمشقَّة والتضحية في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى والحفاظ على الدين وانتشاره في الأرض، ولعل هذه من أكبر وأعظم النعم التي أنعمه الله تعالى على عباده أن هداهم للإيمان برسوله – صلى الله عليه وسلم – ، وجعلهم أصفاءه وأولياءه، كما جعل نصرة الدين على أيديهم، كما جاءت الكثير من الآيات التي تتحدث عن صفاتهم – رضوان الله عليهم جميعاً– مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ

---

[1] ينظر: الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، د.م، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ج٨، ص٥٦. والزمخشري، محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ،ج١ص٥٣٩.

[2] البغوي، **معالم التنزيل**، ج٣، ص٧٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾(التوبة:١٠٠)، فقد منَّ الله عليهم بالسبق إلى الإيمان، فوصفم بالسَّابقين الأولين، فقيل: السابقون الأولون: هم الذين صلّوا القبلتين جميعاً مع الرسول – صلى الله عليه وسلم –، وقيل: هم أهل البيعة (بيعة الرضوان)[1]، والجمع بين القولين أولى، فكل من سبق إلى الإسلام وصلى القبلتين وبايع النبي – صلى الله عليه وسلم – يستحق الرضى من الله تعالى وجنات النعيم.

وجاءت صفاتهم في العديد من الآيات الكريمة، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾(الكهف: ٢٨)، أي:" أحبسها معهم وثبتها[2]، أي مع هؤلاء المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجه الله تعالى، وهذا وصف لحالهم وحال عبادتهم في الليل والنهار، كما فيه وصف لحال قلوبهم، فهم لا يدعون ويعبدون الله تعالى إلا ابتغاء وجهه الكريم، وطلباً لمرضاته ومحبته، وهذا من أفضل ما يوصف به المرء من أن حياته كلها خالصة لله تعالى، مكرّسة لخدمة دينه.

وفي قوله تعالى:﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾(الفرقان:٦٣)، جاء فيها وصفهم بأنهم عباد للرحمن، ولعل الوصف بالعبودية من أجمل وأرقى ما يوصف به الإنسان، وقد خصه الله بصفة الرحمة؛ لأن هذه الصفة هي ما يستحقه المؤمنون، فرحمته تعالى ملازمة لهم في الدنيا والآخرة، فهم ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾ أي:" يمشون بسكينة ووقار وتواضع، لا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم شراً وبطراً"، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ

---

[1] ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج١٤، ص٤٣٦-٤٣٧.

[2] الزمخشري، **الكشاف**، ج٢، ص٧١٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ :" تسلماً منكم لا نجاهلكم، ... وقيل: قالوا سداداً من القول يسلمون فيه من الإيذاء والإثم، والمراد بالجهل: السفه وقلة الأدب وسوء الوعة".[١]

أما المنَّة والفضل في هذه السورة الكريمة على النبي – صلى الله عليه وسلم –، والمؤمنين وذكره لصفاتهم فقد جاء بصور مختلفة عما سبق، وإن كان مشابهاً له في المعنى وبعض التصوير، وتظهر جمالية هذا التصوير في الفاصلة القرآنية هنا، فقد جاءت بأوجه مختلفة، تصور لنا في كل حال صورة مختلفة عن غيرها.

وجاءت هذه الأوجه في هذا الموضوع على النحو الآتي:

١.فواصل تقرِّر بعضاً من أحداث السيرة النبوية وهي ﴿ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾

﴿ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ ﴿ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾.

٢.فواصل خاصة بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى وهي﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ .

٣.فواصل تجمع بين تصوير الحال في الدنيا، وتصوير مشاهد من يوم القيامة وهي:﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ ﴿ مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

٤.فاصلة أقرت ملمحاً تربوياً ممَّا يجب أن تكون عليه حال المؤمنين دائماً في الظاهر والباطن وهي ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾.

فالنوع الأول من الفواصل هو الذي يقرر أحداثاً من السيرة النبوية ، ومما لا يخفى على أحد الترابط القوي بين القرآن الكريم والسيرة النبوية، فكلاهما مصدر للتشريع ويكمل أحدهما الآخر،

---

[١] الزمخشري، **الكشاف**، ج٣، ص٢٩١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وللفاصلة القرآنية دور عظيم في إبراز هذا الترابط والانسجام بينهما، ففي هذا الموضوع تقرر الفاصلة القرآنية بعضاً من أحداث السيرة النبوية.

ففي الفاصلة الاولى ﴿فَتْحًا مُّبِينًا﴾، وصف لصلح الحديبية بأنه فتح مبين. فقد أكَّدت الفاصلة هنا بأن هذا الصلح العظيم لم يكن صلحاً عادياً تمَّ بين الكافرين والمؤمنين، بل كان فتحاً حقيقياً ظاهراً في كل جوانبه، فكان فتحاً للمؤمنين في الأرض، حيث ظهرت قوَّتهم وتمكينهم في الأرض جرَّاء هذا الصلح.

كما كان فتحاً للنفوس وذلك بدخول الناس في دين الله بأعداد هائلة بعده، وكان فتحاً في قلوب المؤمنين أنفسهم من اطمئنانهم لأقدار الله تعالى ورضاهم بها، وأنه ظاهر جليٌّ لا يخفى على أحد خاصة بعد ما رأوا ما ترتب عليه من نصر ورفعة لهم ولدينهم، وهذا كله كان ظاهراً في علم الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم –، فهذه الفاصلة المباركة تتناسب ومقام المنِّ والفضل على النبي – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين، إذ أن هذا الفتح كان من أعظم الأفضال والتكريمات من الله تعالى عليهم.

وجاءت كلمة (مُّبِينًا) بصيغة اسم الفاعل، واسم الفاعل إن جاء نكرةً منوناً، كان بمعنى الفعل المضارع (يفعل)[1]، أي: يتكلم هذا الفتح عن نفسه بأنه ظاهر جليٌّ لا يحتاج إلى إيضاح، فهو واضح في نفسه وواضح للناس جميعاً، وأكثر ما يظهر وضوحه الآثار التي ستترتب عليه فيما بعد ، وهذا من أجمل ما يتناسب مع موضوع المنِّ والفضل بأن يأتي هذا الوصف بهذا الإبداع.

[1] ينظر : السامرائي، **معاني النحو**، ج٣، ص١٧١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾، ذكرت سابقاً[١] أنَّ الله تعالى هيأ لنبيه – صلى الله عليه وسلم – سبل الهداية بأن وجهه لاختيار الطريق الصحيح لعبادته جل وعلا، وزاده هنا هداية إلى الصراط المستقيم، وذلك بإيضاح سبل الحق والاستقامة له، وبيان النهج القويم الذي يجب أن يسير عليه، ويرشد المؤمنين إلى كيفية السير عليه، وهذه الهداية للنبي – صلى الله عليه وسلم – وللمؤمنين هي من أفضل ما يمنُّ به الله تعالى على عباده؛ لأنهم ما كانوا ليهتدوا لولا أن هداهم الله عز وجل، وهذا أيضاً مما يتناسب مع منَّة الله تعالى على نبيه – صلى الله عليه وسلم – وعلى المؤمنين، ويظهر من هذا شدة التقارب بين الاهتداء بالصراط المستقيم وبين الفتح المبين، فحيثما كان الناس على صراط الله تعالى وفي أي زمان كان الفتح حليفهم.

ويظهر هذا في سيرته عليه الصلاة والسلام، حيث كان قبل البعثة يتعبد في غار حراء رافضاً ما كان عليه قومه من الضلال، حتى أرشده الله تعالى إلى طريق الحق بإرسال جبريل – عليه السلام –إليه وإبلاغه بنبوته، وما كان من سيرته أيضاً سيره على الصراط المستقيم وعدم الانحراف عنه أبداً، ومن ذلك الصبروالثبات على الحق لحين التحاقه بالرفيق الأعلى، فقد تجلت الفاصلة القرآنية هنا بوصف مشاهد من السيرة النبوية، ويؤكد ذلك التعبير عن الهداية بالجملة الفعلية التي تفيد (الاستمرار التجدُّدِّي)[٢]، فالهداية مستمرة من الله تبارك وتعالى لنبيه عليه السلام والمؤمنين متجددة في كل حين؛ حتى يثبتوا على هذا الدين وهذا الصراط فلا تفتنهم مظاهر الدنيا الزائفة أبداً بفضل الله تعالى.

---

[١] ينظر: الفصل الثالث من الرسالة، المبحث الأول، ص١٠٦.

[٢] عتيق، عبد العزيز، **علم المعاني**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١ ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ص٤٩.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومستقيماً نعت، والنعت هو:" التابع المُكمِّل متبوعَه"[1]، ويؤتى به لأغراض عدة منها: التخصيص والتوضيح،[2] وجاءت هنا لإفادة هذين المعنيين، فهذا الصراط الذي سيهديك الله تعالى إلية خصص بالاستقامة وعدم الاعوجاج؛ لأنه مقدر من رب يتصف بصفات الكمال، وكذلك فهو واضح المعالم لا غموض فيه، فقد بينه الله تعالى لك وللمؤمنين حتى تسيروا عليه سيراً موصلاً إلى رضى الله تعالى ومحبيه ومعيته، وهذا كله من فضل الله تعالى على رسوله – صلى الله عليه وسلم – وعلى المؤمنين.

﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ﴾، فمن أكثر ما يظهر تمنُّن الله تعالى على النبي – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين مجيء اسم الله تعالى ظاهراً؛ ليدل على أن النصر الذي سيحصل لك من صلح الحديبية وما بعده من فتوحات وغنائم، واعلاء للكلمة ورفعة في المكانة كله حاصل من عند الله تعالى وبفضله، وفي هذا شرف عظيم لك يا محمد ولأصحابك من أن يكون النصر لكم من عند الله عز وجل، فهو مبني على أخذكم بالأسباب وتوكل قلوبكم عليه تبارك وتعالى، وعدم التوكل على القوة والعدة والعتاد.

وجاء الوصف بالجملة الفعلية أيضاً؛ للدلالة على الاستمرار والتجدد، فقد نصرك الله تعالى من قبل في غزوة بدر وأحد وغيرها، وها هو ينصرك الآن، وسيظل ينصرك حتى بعد وفاتك، وذلك بنصرة دينك وإظهاره على الدين كله، ونصرة أتباعك على مر الزمن، وهذا النصر ليس كأي نصر عادي، بل هو نصرٌ تعزُّ به يا محمد أنت وأصحابك الأكارم الأفاضل، فبعد هذا النصر والظفر في المعارك والفتوحات وأخذ الغنائم، هناك نصر أفضل وأعظم وهو انتشار هذا الدين في كل بقاع الأرض وتفوقه على الاديان كلها، وبعد ذلك كله ذكر طيب لك ولأصحابك يظل مستمراً على ألسن

---

[1] السامرائي، **معاني النحو**، ج٣، ص١٨٣.

[2] ينظر: **المصدر السابق**، ج٣، ص١٨٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الناس إلى يوم القيامة، مؤمنهم وكافرهم، فكم من كافر محايد مدح محمداً – صلى الله عليه وسلم – وجعله أعظم شخصية مؤثرة ومميزة في هذا العالم، وهذا كله ظاهر في سيرته – صلى الله عليه وسلم – فقد انتقل من نصر إلى نصر، ولا زالت انتصارات هذا الدين تتوالى – وإن كان يمر أتباعه أحياناً بحالة من الضعف – إلا أنه سيعود للانتصار بعد نهضة هذه الأمة الخيِّرة وسيعود إلى سالف عهده، وهذا ما جاء الوعد به في الآثار الواردة عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، مثل قوله:" تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم، ثم يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله"[1]، و(عزيزاً) جاءت بصيغة المبالغة؛ للدلالة على عظمة هذا النصر فهو عزيز في ذاته، ويعز صاحبه؛ وكذلك للدلالة على أن النصر الذي يأتي من عند الله تعالى لا يكون إلا منيعاً غالباً لا يُقهُر صاحبُه.

ويظهر الترابط بين هذه الفواصل في أن الله تعالى منَّ على نبيه – صلى الله عليه وسلم – بالفتح المبين الواضح، ثم أتبعه بالهداية إلى الصراط المستقيم، وختمها بالنصر العزيز؛ ليدل على أنك يا محمد إن شكرت الله تعالى أنت والمؤمنين على هذا الفتح، فإن الله تعالى سيهديكم إلى صراطه المستقيم ، فإن سرتم على هذا الصراط ولم تنحرفوا عنه، فسيحقق لكم النصر تلوَ النصر وكلها ستكون عزيزة من عزة الله تعالى، وأنتم أعزَّاء كذلك إلى يوم القيامة، وبهذه الأفضال العظيمة يظهر التمنُّن من الله عز وجل على رسوله عليه الصلاة والسلام وعلى المؤمنين كذلك.

٢- فواصل خاصة بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى وهي﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴾ ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ .

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم(٣٥٩٣)، ج٤، ص١٩٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فمن منَّة الله تعالى وفضله على المؤمنين أن أنزل السكينة في قلوبهم وزادهم إيماناً إلى إيمانهم، وجعلهم من جنود الله في الأرض الذين يملكهم ويجعلهم سبباً في نصرة هذا الدين، بالإضافة إلى جنود السماء. فجاءت الفاصلة ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾، و(كان) تحمل في اللغة على عدَّة معانٍ منها: الدوام والاستمرار بمعنى: "لم يزل"[١]، وهذا المعنى هو الملازم لأسماء الله تعالى وصفاته دائماً، فحاشاه تعالى أن تدل (كان)مع أسمائه على الماضي أي (كان وانتهى)، بل هو كان ولازال وسيظل عليماً حكيماً،" فحيث وقع الإخبار ب (كان) عن صفة ذاتية الله، فالمراد: الإخبار عن وجودها، وأنها لم تفارق ذاته"[٢] وقد تقدم كلام الرازي في (كان) مسبقاً.[٣]

فالله تعالى عليم بقلوب المؤمنين، وبأنها بحاجة إلى إنزال السكينة فيها؛ لأنها تحتاج إلى زيادة الإيمان فيها، وإلى الاطمئنان لأفعال الله فيهم ورضاهم بها، وهو عليم بجنود السمآء والأرض، ويعلم بأنه سيجعل هؤلاء المؤمنين هم من جنوده في الأرض وهيأ لهم ذلك، فحكمته في تقدير الأمور مبنية على علمه، فهناك ترابط دائم بين علمه وحكمته، فعلمه المسبق بالأمور كلها يقتضي أن يكون حكيماً في تقدير كل شيء، وهذا من أحسن النعم على المؤمنين، أن يتولى أمرهم إله عليم حكيم لا يُقدِّرإلا خيراً، وهذا من فضله ومنِّه عليهم. والسر في اقتران الاسمين هو الكشف عن تمام علم الله تعالى للسر والعلن، وأن ذلك بيِّن في حكمته وتقديره للأمور على أحسن حال، وظاهر الحال أن العلم لازم الحكمة، فلا حكمة إلا بعلم، وعلم المؤمنين بهذا يجعل نفوسهم راضية بقضاء الله تعالى و قدره، مطمئنة لحكمه.

---

[١] السامرائي، ، **معاني النحو**، ج١ص٢١

[٢] **المصدر السابق**، ج١ص٢١٤.

[٣] ينظر: الفصل الاول من الرسالة، المقطع الثاني، ص٤٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا الإله العليم الحكيم، هو أيضاً يعلم كل شيءٍ قبل حصوله وحين حصوله وما يترتب على حصوله، فجاءت الفاصلة﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾، وجاء تقديم الجار والمجرور(بِكُلِّ شَيۡءٍ) على خبر كان (عَلِيمًا)؛ للدلالة على قصر العلم بكل شيء على الله تعالى، فلا أحد يعلم كل شيء إلا الله وحده، فنحن لا نعلم إلا ما نرى أمامنا، وأحياناً لا نعلم المراد منه، بل نحكم على الظاهر، لكن الله تعالى يعلم خفايا الامور وظواهرها وما تؤول إليه وما تحققه هذا الأقدار.

وهذه الفاصلة جاءت خاتمة لوصف حال المشركين، وحال قلوبهم التي حملت حميَّة الجاهلية، وبعد وصف قلوب المؤمنين، وإنزال السكينة فيها مرة اخرى، وإلزام النبي – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين كلمة التقوى، وانهم أهلها وأحق بها من غيرهم، فكان الله تعالى عليم بذلك كله، وبأن الخير كله كائن في هذه الأقدار التي قدرها، ودل على ذلك قوله:(بِكُلِّ شَيۡءٍ)، وبهذا يظهر الترابط والتمازج بين الفاصلتين، وبينهما وبين موضوع المنَّة والفضل من الله تعالى على رسوله عليه الصلاة والسلام وعلى المؤمنين.

فبعد أن ذكر الله تعالى حال المشركين من رفضهم لدعوة النبي – صلى الله عليه وسلم –، وإنكارهم لرسالته، وعدم قبولهم كتابة (محمد رسول الله) في صحيفة الصلح، واساهُ الله تعالى ورفع قدره ومنزلته وأشعره بالعزة والفخر من أن جعل من جلاله شهيداً على رسالة محمد – صلى الله عليه وسلم – ونبوته وتبليغه وأمانته، وعلى أنه رسول الله تعالى، وأنه سينتصر عليهم وسيظهر دينه على الأديان كلها، وأن هذه الشهادة يا محمد تغنيك عن كل الشهادات، فلو كذَّبك أهل الأرض جميعاً، ولم يقف أحد منهم إلى جانبك، فحسبك شهادة الله تعالى لك ووقوفه إلى جانبك، ونصرك ورفع قدرك في أهل السماء والأرض، فجاءت الفاصلة ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾، فيا له من فخر وعزة لك يا محمد، من أن الله عز وجل بقدره وعزته وكبريائه معك وناصرك وشاهد عليك، فلا تحزن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعدها أبداً، ولا تشعر بالضعف فأنت عزيز بعزة الله تعالى. وللرازي في ذلك قول لطيف وهو" أن قول الله مع أنه كاف في كل شيء، لكنه في الرسالة أظهر كفاية، لأن الرسول لا يكون إلا بقول المرسل، فإذا قال ملك هذا رسولي، لو أنكر كل من في الدنيا أنه رسول فلا يفيد إنكارهم فقال تعالى أي خلل في رسالته بإنكارهم مع تصديقي إياه بأنه رسولي.[1]

وما يُظهر هذا ويؤكده مجيء اسم الجلالة ظاهراً ثم وصفه بالشهيد، وهو المطلع السامع المحيط البصير بكل شيء، والتعبير في صيغ المبالغة مع أسماء الله الحسنى؛ يدل على سعة علمه وحكمته وشهادته على خلقه؛ وذلك حتى لا يشك إنسان بمدى سعة علمه وحكمته في تقدير الأمور كلها ، فالله العالم بكل شيء لا بد ان يكون حكيماً يقدر الامور بما يتناسب مع حال كل إنسان على حده، وهذا العالم الحكيم هو الذي يشهد لنبيه – صلى الله عليه وسلم – بالتبليغ، وأداء الأمانة وفي هذا منٌّ وفضل عظيمين من الله تعالى على نبيه عليه الصلاة والسلام وعلى المؤمنين، فأي فضل وأي منَّة أن يتولى أمرك إله عليم حكيم ثم يشهد على صدقك أمام الخلائق يوم القيامة. وبهذا الوصف الباهر ينتهي النوع الثاني من الفواصل في الموضوع الأول من السورة الكريمة.

٣– فواصل تجمع بين تصوير الحال في الدنيا، وتصوير مشاهد من يوم القيامة وهي :

﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمَا ﴾﴿ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾﴿ مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمًا ﴾ .

بعد الحديث عن إنزال السكينة في قلوب المؤمنين وازدياد الإيمان فيها، وبيان حالهم يوم القيامة من إدخال الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، وتكفير السيئات، فكان الوصف لكل ما سبق بأنه

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٧، ص١٠٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فوز عظيم، فجاءت الفاصلة ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمَا﴾، والعظمة الحقيقية لهذا الوصف أنه عظيم عند الله تعالى، وهذه العنديَّة فيها تشريف وتعظيم لمكانة الفائزين، فهي بحد ذاتها فوز عظيم أن تكون عند الله تعالى، ومن عنده، وما أعظم ما يكون عظيماً عند العظيم جل جلاله، فلا حاجة للوصف بعد هذا الوصف، ويزيد جمالها وقوتها مجيء(فَوۡزًا عَظِيمَا)، نكرتان منونتان؛ للدلالة على عظم هذا الفوز فهو غير محدد، بل يتسع له خيال القاريء.

وقد ظهرت الفاصلة العظيمة في وصف بعض الأحوال في الدنيا؛ من كفارة الذنوب وغفرانها والعفو عنها من الله تعالى، بعد زيادة الإيمان وإنزال السكينة في القلوب، ووصفتها كلها بالفوز العظيم، وبعد الفوز العظيم في الدنيا، هناك فوز أعظم في الآخرة، فهذه الفاصلة تصور لنا مشهداً من مشاهد يوم القيامة وتنقلنا إلى صورة حية مشاهدة أمام أعيننا، ففي هذا اليوم تكون القلوب لدى الحناجر، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت من أهوال هذا اليوم، حيث ينتظر كل انسان مصيره ومآله، فتأتي في هذه الأوضاع العصيبة البشارة للمؤمنين أن ادخلوا الجنة سلام عليكم طبتم بما فعلتم في الدنيا، لكم فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، ثم يزيدكم الله من فضله بأن يجعلكم خالدين فيها، والأعظم من هذا كله أنه يمنُّ عليكم برؤية وجهه الكريم، فما أجمل هذه الفاصلة وما أبدع تصويرها.

وبعد هذا الفوز العظيم، وهذه المنَّة من الله تعالى على رسوله بالفتح المبين، وما ترتب عليه من خيري الدنيا والآخرة، وجزاء الفريقين المؤمن والكافر، جاءت الفاصلة﴿ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾، لتبين وظيفة النبي – صلى الله عليه وسلم – من أنه شاهد ومبشر ونذير، فهو شاهد على أمته في الدنيا أنه بلغهم الرسالة، وشاهد على الأمم السابقة أن انبياءهم بلغوهم الرسائل، ويشهد كذلك عليهم يوم القيامة، "فقد أدى الشهادة كما أدى الرسالة فهو يبشر بالخير والمغفرة والرضى وحسن الجزاء

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للمؤمنين الطائعين، ونذير بسوء المنقلب والغضب واللعنة والعقاب للكافرين والمنافقين والعصاة والمفسدين"[1] فهي تصور لنا حال النبي – صلى الله عليه وسلم – في الشهادة عليهم في الدنيا والآخرة، والتعبير باسم الفاعل؛ للدلالة على الحال والاستقبال فهو أرسل في حالة أنه شاهد عليهم في الدنيا وسيشهد عليهم في الآخرة، وكذلك حال الداعية أن يكون مبشراً ونذيراً في آنٍ معاً؛ ليظهر التوازن في شخصيته، كما أنها تبين مدى التمنُّن والتفضُّل من الله عز وجل على رسوله عليه الصلاة والسلام من أن جعله شاهداً على أمته وعلى الأمم الأخرى، وجعله بشيراً ونذيراً، وفضله على المؤمنين بأن أرسل إليهم رسولاً منهم شاهداً عليهم، ولم يتركهم يتيهون في الأرض من غير توجيه وإرشاد وهداية، ثم بشرهم بالمغفرة والعفو وجنات النعيم؛ لتستقر نفوسهم وتطمئن قلوبهم لهذا الفضل العظيم، والسر في هذا الترتيب أن هذه الشهادة ستكون على الذين بشرهم وأنذرهم في الدنيا، وعلى نتيجة هذا التبشير والإنذار في الآخرة. فما أجمل هذا الانسجام البديع بين الفواصل القرآنية ومواضيع الآيات التي جاءت فيها، وبراعة التصوير لحالي الدنيا والآخرة وما يكون فيهما.

بعد الحديث عن الفوز العظيم، وبيان وظيفة النبي – صلى الله عليه وسلم –، و ذكر صفات النبي – صلى الله عليه وسلم –، وذكر صفات المؤمنين في التوراة والإنجيل، فبعد كل أحداث السورة المباركة ومواقف المؤمنين من تصديق وإيمان ونصرة لله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام، جاء الوصف فيها بأن الله تعالى وعد المؤمنين بالمغفرة والأجر العظيم فجاءت الفاصلة ﴿مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، والمغفرة تكون بمحو الذنوب والعفو عنها، فعندما يجد المؤمن صحيفته يوم القيامة فارغة من الذنوب والخطايا فقد غفرها الله جل وعلا وعفا عنها، فيدخل المؤمن الحق الجنة بلا حساب ولا سابقة عذاب، أما الأجر الدنيوي فيكون بمحبة الله تعالى لهم ورضاه عنهم وإرضاؤهم

---

[1] سيد قطب، **الظلال**، ج٢٦، ص٣٣٢٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عنه، كما يكون في البركة في الدين والأهل والعلم والمال، والتثبيت على هذا الدين والموت عليه، وفي الآخرة يكون بالرحمة الواسعة والشفاعة من النبي – صلى الله عليه وسلم – والحشر مع الأنبياء والصديقين والشهداء، ثم دخول جنات النعيم، وقد تكرر الوصف ب(العظيم) عند الحديث عن المؤمنين؛ لأن الأمر العظيم لا يكون إلا من عظيم جليل لعظماء بأفعالهم وصدق قلوبهم وحسن توكلهم، وجعل الأجر نكرةً منوناً موصوفاً؛ للدلالة على عظمته وعدم انحصاره في مخيلة القارئ والسامع، ولعل هذا من أجمل ما يظهر التناسب والانسجام بين الفاصلة القرآنية وموضوع المنَّة والفضل.

وجاءت هذه الفواصل الثلاثة في وحدة نسق عظيمة، فعندما كان النبي – صلى الله عليه وسلم – شاهداً على أمته وعلى الأمم السابقة، بأنه بلغهم هو وباقي الرسل– عليهم السلام –الرسالات بأمانة، وأن هؤلاء المؤمنين اتبعوهم ونصروهم، فكان لهم جميعاً الفوز والأجر العظيمين في الدنيا والآخرة، وهذا كله يتناسب مع مقام المنَّة والفضل من الله تعالى.

٣– فاصلة أقرَّت ملمحاً تربوياً ممَّا يجب أن تكون عليه حال المؤمنين دائماً في الظاهر والباطن وهي ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾، وهذا الحال من دوام الذكر والعبادة لله تعالى في كل وقت وحين هو من أعظم التمنُّن من الله عز وجل على عباده؛ لأنه لا هداية للإنسان ولا تثبيت على الهداية إلا بفضل الله تعالى ورحمته، فيربي الله تعالى هنا المؤمن تربية خاصة تكون سبباً في تحقيق السعادة له في الدارين، فمن كان هذا حاله في الدنيا فسيشعر بالطمأنينة والسعادة التي يبحث عنها كل إنسان، كما أنها ستحقق له السعادة الأخروية بدخول الجنات بفضل الله تعالى ورحمته.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجاء التعبير في (وَتُسَبِّحُوهُ) بصيغة المضارعة لإفادة الاستمرار والتجدد، فحالهم في العبادات وذكر الله تعالى متجدد مستمر في كل حين وفي كل ظرف لا يتوقف أبداُ، إلا عند انتهاء الاجل، وواو الجماعة تفيد تشكيل صورة جمعية، وفي هذا إشارة إلى العبادات الجماعية مثل، الصلاة ومدارسة القرآن وغيرها، واختيار هذين الوقتين تحديداً أول النهار وآخره ، لأن البركة والخير يكونان في وقت البكور، وبعد مضي النهار وما فيه من انشغال بأمور الدنيا، وعدم خلوه من الذنوب كان لا بد من ذكر آخر النهار، لأن الانسان يحتاج الى الذكر والاستغفار مما حصل خلال يومه، ولأن هذين الوقتين يضمنان ما بينهما من وقت.

والتسبيح والعبادة في هذه الاوقات شرط من شروط النصر والتمكين، وهي كانت سبباً في إنزال السكينة، وبالتالي زيادة الإيمان والفوز بالأجر العظيم في الدنيا والآخرة، وجاءت الفاصلة في الآيات التي تحدثت عن وظيفة النبي – صلى الله عليه وسلم – ووظيفة المؤمنين، ثم ذكر بيعتهم لله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام، والأجر المترتب على ذلك، فكأن الله تعالى يقول: إن من أهم الوظائف الموكلة للنبي – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين هي عبادته حل في علاه وذكره في كل حين، ومن كان هذا حاله في العبادة فلا بد وأن يُهدَى إلى طريق الحق ويبايع الله تعالى ورسوله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، ويستحق من الله العظيم الأجر العظيم في الدارين.

وبعد هذا العرض لحال الفواصل القرآنية، وما تصوره من أحوال متعددة، كوصف لأحداث السيرة، وتقرير مشاهد دنيوية وأخرى أخروية، وتقرير قواعد تربوية في التعامل مع الله تعالى، وما فيها من أسماء حسنى وصفات عُلى لله تبارك وتعالى، يظهر لنا ويبرز ويتجلى جمال وإبداع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وروعة التناسب والترابط والتمازج بين الفاصلة القرآنية في هذه الآيات الكريمة وموضوع المنَّة والفضل من الله تعالى على رسوله – صلى الله عليه وسلم – وعلى المؤمنين وذكر صفاتهم.

المبحث الثاني: مناسبة الفاصلة القرآنية لمواطن التخلُّف عن نصرة الدِّين وفضح المخلَّفين والمنافقين.

عادة القرآن الكريم أن يوازن في العرض بين الموضوعات، ولمَّا كان الحديث في الموضوع السابق عن منَّة الله تعالى على النبي – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين بالهداية والإيمان والنصر والثواب المترتب على ذلك كله، كان من المناسب الحديث عن المنافقين والمشركين وإخلافهم للعهد ومجازاة ذلك في الدنيا والآخرة.

وقد جاء في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تصف حال المنافقين والمشركين المتخلِّفين عن الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم – ، وأكثر ما ظهر هذا الحال في سورة التوبة، منها قوله تعالى:﴿ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴾(التوبة:٨١)،و المُخلَّفون:" المتروكون، وهم الذين استأذنوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من المنافقين، فأذن لهم، وخلَّفهم بالمدينة في غزوة تبوك، أو الذين خلَّفهم الله وثبَّطهم، أو الشيطان، أو كسَّلهم، أو المؤمنون، ومعنى بمقعدهم أي: بقعودهم، يقال: قَعَدَ قُعُوداً أي: جَلَسَ وأقعَدهُ غيرُه. ذكر معناه الجوهري فهو متعلق ب(فَرِحَ)،أي: فرح المُخَلَّفون بقعودهم"[1]

---

[1] الشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير**، دار ابن كثير– دار الكلم الطيب، دمشق– بيروت، ط١ ١٤١٤هـ، ج٢، ص٤٤١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وظهر في الآية الكريمة وصف لحال المنافقين الذين كرهوا أن يقاتلوا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وتخلفوا عن نصرته، بأنهم فرحوا بهذا التخلُّف وهذا القعود، والفرح يكون بالقلب أولاً ثم يظهر على الجوارح، وفي هذا إشارة إلى حال قلوبهم العفنة المشوَّهة بسبب بعدها عن الله تعالى، وأخبر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بأنه إن استغفر لهم أم لم يستغفر لهم ، فإن الله تعالى لن يغفر لهم؛ لأنهم لا يستحقون المغفرة وليسوا بأهل لها، وختم الآية بقوله: ﴿لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ﴾، والفقه: هو الفهم العميق ، ففهم هؤلاء مقتصر على امور الدنيا، فهم تخلفوا عن الجهاد لكفرهم أولاً، ثم لشدة الحر كما قالوا، ولم يعلموا أن نار جهنم أشد حراً.

أما في سورة (المنافقون) فقد جاء الوصف للمنافقين في الظاهر والباطن، فقال إنهم يشهدون بأنك رسول الله، وهذه الشهادة منهم كاذبة؛ لأن قولهم خالف ما في قلوبهم من إنكار هذه الرسالة وهذه النبوة، ففضح الله تعالى ما في قلوبهم من نفاق وكذب يظهر على ألسنتهم وفي أفعالهم، ثم جاء الوصف بالطبع على قلوبهم فلا يخرج منها خير ولا يدخلها خير أبداً، وقد استحقوا ذلك لسوء ما في قلوبهم، ثم زادهم الله تعالى شدة في القول من أنك يا محمد لو استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم، ثم انتقل إلى وصف حالهم الخارجي، من أنك لو رأيتهم تعجبك أجسادهم لجمالها ولحسن كلامهم، وهذا هو الظاهر فقط، لكن قلوبهم خربة مشوَّهة ضعيفة تحب كل قول أو إشارة إليها من شدة الخوف والتوتر من كشف كذبهم، فهم في الحقيقة مثل الخشب المسنَّدة الفارغة من الداخل التي لا حاجة لها، كما وصفهم بعدم الفهم العميق الكافي ففهمهم سطحي واقتصر على أمور الدنيا.

وجاءت الفواصل في هذا الموضوع بتعابير مختلفة صورت لنا صوراً وأحداثاً في الدنيا والآخرة، فكانت على النحو الآتي:

١– فواصل تصور لنا حال المخلَّفين في الباطن والظاهر وهي: ﴿بَلۡ كَانُواْ لَا يَفۡقَهُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾

٢- فواصل تصور لنا مشاهد من يوم القيامة وهي: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ ﴿ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴾.

٣- فواصل خاصة بأسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلى وهي:﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ ﴿ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

٤- فاصلة جمعت بين حالتي العذاب في الدنيا والآخرة للمُخلَّفين وهي:﴿ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾.

أولاً:

الفواصل التي تصور لنا حال المخلَّفين في الباطن و الظاهرهي﴿ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

﴿ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾

الله تعالى وحده من يعلم الباطن والظاهر، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فعند الحديث عن المخلَّفين الظانِّين بالله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم – ظنَّ السَّوء، جاءت الفاصله واصفة حال عقولهم اً ﴿ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾، فوصفهم بعدم الفهم العميق للأمور، فطريقة تفكيرهم سطحيةً لا عمق فيه، بل يقتصر على الأمور الدنيوية الظاهرة، ولا يتعداها إلى التفكير العميق بالنتائج المترتبة على الأمور، والمآلات التي تصير إليها، وهذا هو معنى لا يفقهون إلا القليل، والاستثناء ب(إِلَّا)، من الاستثناء المتصل:" وهو ما كان المستثنى فيه بعضاً من المستثنى منه"[1]، فهم ليسوا عديمي الفهم، بل لا يفهمون الأمور بعمق، ولعل هذا القليل هو ما أرشدهم إلى الإسلام ، فهم ينظرون إلى الأمور ببصرهم لا ببصيرتهم ، وعلى هذا فهم محرومون

[1] السامرائي، **معاني النحو**، ج٢، ص٢٤٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من التعرف إلى الله تعالى ببصيرتهم، وكذلك محرومون من التلذذ بمناجاته ومحبته والتعلق به ، بل يعبدونه بحركات وأداءات خارجية ظاهرية لا اتصال لها بالقلب، وفي هذا وصف لحالهم الخارجية والباطنية، وهذا مايتناسب مع موضوع فضح المُخَلَّفين.

وجاء بعدها الوصف لحال قلوبهم الفاسدة التي لا خير فيها فجاءت الفاصلة﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾، فكان هذا الوصف مترتباُ على الأول، فمن كان فهمه للأمور سطحياُ لا عمق فيه، كان قلبه بوراً، لا يخرج منه الخير ولا يدخل إليه، ومن لم يكن في قلبه خير فلن يظهر الخير في تصرفاته وأخلاقه، وشبههم الله تعالى بهذا الوصف بالأرض الجرداء التي لا حياة ولا خصب فيها[1]، وقد استحقوا هذا الوصف؛ لِمَا انطوت عليه قلوبهم من سوء الظن بالله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم – والمومنين، والوصف في بعض أغراضه يفيد التخصيص، فقد خص الله تعالى من كان هذا قلبه وهذه تصرفاته بهذا الوصف البليغ، وزاد هذا الوصف بلاغة مجيئه نكرة منوناً، وهو من أكثر ما يتناسب واختتام الآية، كما أنه يتناسب مع موضوع التخلُّف عن نصرة الدِّين وفضح نوايا المخلَّفين.

٢– فواصل تصور لنا مشاهد من يوم القيامة وهي: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾

﴿فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَفِرِينَ سَعِيرًا ﴾.

بعد الحديث عن المنافقين والمشركين الظَّانِّين بالله تعالى ورسوله –عليه الصلاة والسلام– ظنَّ السوء، وبيان أن هذا الظنَّ السيء الذي كان في قلوبهم، قد انقلب عليهم وأحاط بهم، فهم من خسر محبة الله تعالى ومعيته أولاً، ثمّ خسر الآخرة، فكان خسرانه عظيماً، فقد حلَّ عليهم غضب

[1] سيد قطب، **الظلال**، ج٢٦، ص٣٣٢٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله تعالى ولعنته لهم وطردهم من رحمته، جاءت الفاصلة ﴿وَأَعۡتَدَ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾، وهذا مشهد مهيب تقشعرله الجلود والقلوب، فكيف إذا جاء بعده وصف للمصير الأخير لهم يوم القيامة؟!

فجاء الوصف لهذا المشهد المرعب من أن الله تعالى بجلاله وعظمته أعد لهم جهنم، وفي الإعداد من العناية بنوع العذاب الذي سيقع عليهم، بناءً على ما في قلوبهم من سوء الظنِّ والنِّفاق وتمنِّي الشر للنبي – صلى الله عليه وسلم – وللمؤمنين، وسر تقديم (لَهُمۡ)، على المفعول به(جَهَنَّمَۖ)؛ للاختصاص[1]، فإعداد جهنم خاص بهم لا بغيرهم، و"الجهنام القعر الْبعيد والبئر الْبَعِيدَة القعر"[2]، وهذا القعر البعيد هو ما يناسب الدنو الذي كان في قلوبهم وتصرفاتهم، ثم جاء الوصف ب(وَسَآءَتۡ)بما فيها من مد لبيان مدى السوء الموجود في هذا المصير، و(مَصِيرًا) تمييز، والتميز يؤتى به لإزالة الإبهام عن الذات، فهذا المصير السيء مميز واضحٌ سوءُه، خاص بهم معد لهم، وهذا من أعظم ما يتناسب مع موضوع التخلُّف عن نصرة الدِّين.

واستمر تصوير مشاهد من يوم القيامة تظهر حال الكافرين والمنافقين، الذين لا يؤمنون بالله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم –، من أن الله تعالى أعدَّ لهم السعير ونسب الإعداد إلى جلاله، وفي هذا من المهابة والخوف ما ترتجف منه القلوب في قوله:﴿فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾ .والسعير: "هو اشتعال الشيء واتقاده وارتفاعه"[3]، فكانت هي الجزاء المناسب لمن امتلأ قلبه بالكفر والنفاق والبعد عن الله عز وجل، فبعد استحقاق القعر، استحقوا هذا الحرق بالنيران المشتعلة. كما فيه تحذير للمخلّفين من أنكم إذا استمريتم على حالكم هذه فستستحقون ما استحق هؤلاء من

---

[1] عباس، فضل حسن، **البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني**، دار النفائس– الاردن، ط١٢، ١٤٢٩هـ–٢٠٠٩م، ص٢٤٧.

[2] مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الوسيط**، مادة(جهم)، ج١ص١٤٤.

[3] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، مادة(سعر)، ج٣، ص٧٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السعير، فسارعوا إلى مغفرة من ربكم قبل فوات الأوان، ويبرز التناسب بين الفاصلتين، فمصير هؤلاء هو السعير، التي لا انفكاك عنها ولا خروج منها، وهذا هو سوء المصير، وما يناسب ذلك كله مجيئهما (مَصِيرًا... سَعِيرًا) نكرتين منونتين؛ لبيان سوء حال المصير والسعير وتخيُّل مدى هذا السوء، وهذا أيضاً ما يتناسب مع الفاصلتين السابقين، فمن كان لا يفقه إلا قليلاً، وكان قلبه بوراً فلا بد أن يكون هذا مصيره، وكل ذلك منسجم مع موضوع التخلّف عن نصرة الدين.

٣-فواصل خاصة بأسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلى وهي:

﴿ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

بعد كشف نوايا المُخَلَّفين وكشف كذبهم في تقديم الأعذار للنبي – صلى الله عليه وسلم –، فقد اعتذروا بانشغالهم بأموالهم وأهليهم، كما كذبوا في طلبهم من النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يستغفر لهم، فقد كان قولاً بأفواههم فقط ولم يكن خارجاً من قلوبهم ، فقلوبهم مليئة بسوء الظن والكذب والنفاق؛ لذلك جاءت الفاصلة﴿بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا﴾، وجاء التعبير بحرف الإضراب(بل)؛ لبيان كذب كل ما سبق، وقدم (بما تعملون) على خبر كان(خبيراً)؛ لقصر العلم بخفايا النفوس على الله تعالى وحده، وخصه بالعلم لا بالمعرفة؛ لأن الله تعالى يحاسب الإنسان على الأعمال التي تصدر منه بقصد ونية مبيتة، ولا يحاسب على ما يفعل بغير قصد، وانتهت بالخبير: الذي يعلم الظواهر والبواطن ولا يخفى عليه شيء أبداً، ويزداد هذا وضوحاً بوجود(**بما**) التي أفادت الإبهام، لتشتمل على كل الأشياء ظاهرها وباطنها، وقد جاء تفصيل ذلك كله سابقاً[١]، وهذا ما يناسب فضح المخلَّفين وبيان نواياهم الحقيقية.

[١] ينظر:الفصل الاول من الرسالة، المقطع الخامس، ص٥٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا الإله الذي يعلم كل شيء، هو نفسه العزيز الحكيم الذي وصف نفسه بهذا الوصف بعد أن بين أنه يملك جنود السماوات والأرض، فهو خالقهم ومدبر أمورهم، وهو عزيز بامتلاكه لهم،فجاءت الفاصلة ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾، وفي هذه الآية معنى التهديد والوعيد للمنافقين والمشركين، فتناسب اختتامها بالعزيز: وهو الغالب الذي لا يُغلب، ومن آثار غلبته، هؤلاء الجنود الذين منهم المؤمنين المقاتلين بأمر الله تعالى، المنتصرين بمعونته وتأييده، ثم ارتبطت العزة بالحكمة، والحكمة: "معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام"[١]، "فالحكمة صفة أساس من متطلبات العزة، ولا عزة بلا حكمة"[٢].

ويظهر هنا الارتباط العجيب بين اسمي العزيز والحكيم، فالعزيز القوي يحكم بالعدل، ولا تجعله عزته يظلم أحداً، وحكمه في السماوات والأرض وتقديره لكل ما هو مناسب وفيه تحقيق لمصالح العباد، مبني على قوته التي لا غالب لها، فلا تكون العزة صالحة بلا حكمة ولا حكمة مقررة بلا عزة، وهذا من أعظم ما يناسب اختتام الآيات في موضوع فضح المخلَّفين والمنافقين والمشركين .

فبعد الوصف بالعزيز، جاء الوصف بالعزيز الحكيم، وتبعه الوصف بالغفور الرحيم ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾، فمن أكثر أسماء الله تعالى الحسنى ارتباطاً في القرآن الكريم، هي ارتباط الغفور بالرحيم، وجاءت هذه الفاصلة للآية التي توسطت الآيات التي تتحدث عن المخلَّفين ووصف حالهم وبيان عقابهم، وبعد الحديث عن إعداد السعير للكافرين؛ لإعطاء المخلَّفين أملاً من الله تعالى مالك السماوات والأرض، الذي يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، فهو شديد العقاب وفي الوقت نفسه غفور رحيم، ولكن من شدة رحمته بعباده لم يُعد ذكر العذاب، بل ختم الآية بالمغفرة

---

[١] الأصفهاني، **المفردات**، مادة(حكم)، ص٢٤٩.

[٢] ابو زر، عطية مرجان، **لطائف من الاعجاز القراني في اسم الله العزيز**، دنيا الوطن، ٢٩-٩-٢٠١٤م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والرحمة، فهو جل جلاله لا يغفر الذنوب من دون رحمة، بل يرحم عباده وينزل الرحمات عليهم وعلى قلوبهم، ومن هذه الرحمات مغفرة الذنوب.

فيظهر الترابط والتناسب بين هذه الفواصل في أن الله العليم الخبير بما يعمله عباده، هو العزيز الذي لا يُغلب، وهو الذي يحكم بالحق ويدبر الأمور والخير لعباده بحكمته، وهو نفسه الذي يغفر ويرحم، فهذه العزة والقوة لم تمنعه من المغفرة والرحمة؛ لأنه بعلمه يعلم أن نفوس عباده ضعيفة وقد تستسلم للشهوات وملذات الدنيا، ففتح لها أبواب المغفرة والرحمة، وكلها جاءت بصيغة المبالغة لتخيل مدى خبرته وعلمه وعزته وحكمته ومغفرته ورحمته في آن معاً، وأثر هذه الصفات في نفوس المخلّفين، من انكم إن بقيتم على تخلُّفكم سيعاقبكم ويذلكم الله العزير الحكيم، وإن تبتم ورجعتم إلى الله تعالى الغفور الرحيم فسوف يقبل منكم ويغفر لكم.

فما أجمل هذه الصفات العلى التي تجعل الإنسان يعيش بين خوف وأمل وشعور بالعزة المستمدة من عزته عز وجل، وشعور بالاطمئنان لأحكامه وأقداره، ومحبة عظيمة لهذا الإله الغفور الرحيم، وهذا كله ينسجم ويتناسب مع موضوع التخلف عن نصرة الدين وفضح المخلَّفين والمنافقين.

٤- فاصلة جمعت بين حالتي العذاب في الدنيا والآخرة للمُخلَّفين، إن استمروا على تخلفهم عن الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم –، وهي:﴿ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

وكانت هذه الفاصلة للآية التي أعطت فرصة جديدة لهؤلاء المخلَّفين، من أن الله سيدعوهم إلى قتال قومٍ أولي بأس شديد، فإن تبعتم أوامر الله تعالى وأوامر رسوله – صلى الله عليه وسلم –، وقاتلتم بنية خالصة، فسوف يؤتيكم أجراً حسناً من عنده، أما إن تخلفتم من جديد وعصيتم فستستحقون العذاب في الدنيا والآخرة. أمَّا عذاب الدنيا فيكون بحرمانكم من محبة الله تعالى ومعيته

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونصرته، وعذاب بفوز المسلمين عليكم، وعذاب موجع في الآخرة من خوف وهلع وتلاقب للحال، ثم السقوط عن الصراط المستقيم في نار جهنم وبئس المصير .

والسر في التعبير بصيغة المبالغة(فعيل) في(أَلِيمًا) ؛ لتخيُّل مدى الإيجاع في هذا الألم، وهذا ما يتناسب مع الفواصل السابقة، فمن ابتعد عن الله العليم العزيز الغفور الرحيم لا بد وأن يتعذب في الدنيا والآخرة عذاباً موجعاً، ولعل هذا من أنسب وأبدع ما يختم به هذا الموضوع من التخلُّف عن نصرة الدين.

المبحث الثالث: مناسبة الفاصلة القرآنية لمواطن البيعة والتَّمكين في الأرض.

بعد الحديث عن المخلَّفين عن نصرة الدين، وبيان جزائهم، عاد الحديث في هذا المبحث عن المؤمنين المبايعين الذين نصروا الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم –، فجاء فيه الوصف لحال قلوبهم، ومبايعتهم للنبي – صلى الله عليه وسلم – ومناصرتهم له ، ثم بين جزاءهم في الدنيا والآخرة.

وقد وردت آيات عديدة في القرآن الكريم تتحدث عن مبايعة المؤمنين لله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم –، وما ترتب عليها من نصر وظفر وتمكين في الأرض، وجزاء ذلك في الدنيا والآخرة، ومن هذه الآيات قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(التوبة:١١١)

فقد بينت الآيات الكريمة جزاء المبايعة مع الله تعالى ونبيه – صلى الله عليه وسلم – والوفاء بالعهد، من أنهم سيستبشرون بهذا البيع، وأن الله تعالى سيفي بوعده لهم، وينصرهم في الدنيا، ويدخلهم الجنة في الآخرة ويكون هذا هو الفوز العظيم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي قوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (الاحزاب: ٢٣-٢٤). " من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – والمقاتلة؛ لإعلاء الدين، من صدقني: إذا قال لي الصدق، فإن المعاهد إذا أوفى بعهده فقد صدق نيَّته... وما بدلوا العهد ولا غيروه"[١].

فقد بينت الآيات الكريمة أن الله تعالى سيجازي الصادقين الموفين بعهدهم على صدقهم ووفائهم، جزاء يليق بهم ولم يحدد جل وعلا هذا الجزاء؛ ليتسع ذهن السامع لهذا الجزاء ويستبشر به خيراً.

والفواصل في هذا الموضوع جاءت بنظم يناسب سياقه ويصور الأحداث والأحوال بما يقتضيه المقام على النحو الآتي:

١-فواصل خاصة بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى وهي:﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾.

٢- فواصل تصف عذاب الكافرين في الدنيا والآخرة وهي:﴿ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ﴿ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾.

٣- فواصل تصف جزاء المؤمنين في الدنيا والآخرة وهي: ﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾

٤- فاصلة قررت قاعدة ثابتة من قواعد الله تعالى في الكون وهي: :﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾

---

[١] البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج٤، ص٢٢٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥- فواصل قررت أحداثاً من أحداث السيرة النبوية وهي: ﴿ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾﴿ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ .

وإليك تفصيل ذلك وبيانه:

١ - فواصل خاصة بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى وهي:﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾.

لمَّا جاءت الآية التي تتحدث عن المغانم والخيرات التي سيحصل عليها المؤمنون بعد صلح الحديبية وفتح خيبر، والإخبار بأن كل الفتوحات التي سوف تفتح لكم ما كانت لتكون لولا إحاطة الله تعالى بها، وحفظها عليكم لتفتحوها انتم، فلم تكونوا لتقدروا عليها لولا قدرة الله تعالى عليها، فناسب هذا القول الاختتام بهذه الفاصلة﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾، فقد كان الله تعالى ولا زال وسيظل قادراً على كل شيء، وجاء التعبير عنها بصيغة المبالغة؛ ليتسع خيال السامع والقارئ لمدى قدرة الله تعالى، فهو قدير على كل الأمور التي تعرفونها والتي لا تعرفونها، و(كل شيء)؛ للدلالة على العموم، فما كان في قلوبكم، وما ظهر على جوارحكم، وما أخفيتم وما أعلنتم، وما هو كائن في المستقبل الذي لا تعلمونه أنتم كله الله وحده قادر عليه، ولا حول ولاقوة لأحد منكم، وما عليكم إلا الأخذ بالأسباب والتوكل عليه جل وعلا، ولعل هذا من أكثر ما يتناسب وموضوع البيعة والتمكين في الأرض.

ومن باب إتمام المعنى الحاصل من الفاصلة السابقة والتأكيد على أن الله تعالى القادر على كل شيء، هو الذي يبصر ويعلم كل ما تقومون به من أعمال، ويحاسبكم على نواياكم في هذه الأعمال فجاءت الفاصلة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾، وجاء التعبير بالاسم الموصول(ما)،"وما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مبهمة تقع على كل شيء"[1]؛ للدلالة على أنه يعلم كل شيء مهما صَغُر او كَبُر، خفي أو ظهر، ما كان خالصاً لوجهه وما لم يكن، وبصير بحالكم، وبأنكم تحتاجون هذا الفتح والنصر؛ لينصركم على عدوكم، ويمكِّنَكُم في الأرض، وكذلك جاء التعبير بصيغة المبالغة؛ لبيان مدى إبصاره وعلمه بالأمور كلها.

واختتم النَّسَق القرآني هذه الفواصل في هذا المقام بقوله تعالى:﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾، فهذا الإله القادر على كل شيء، والبصير بكل شيء، هو العزيز القوي الذي لا يغلب، وهذه العزة والقوة لم تجعله يظلم أحداً في حكمه وتقديره للأمور، وهو الذي قدر لكم الفتح؛ لتحقيق مصالحكم، وما فيه خير لكم في الدنيا والآخرة، وحكمته هذه مبنية على علمه وإبصاره بكل شيء، وتظهر في هذه الفواصل قمة الترابط والتناسق، فالله القادر، هو البصير بكل ما تعملون، ويترتب على ذلك أنه قوي عزيز لا يغلب، كما يترتب عليه انه حكيم في تقدير الأمور كلها، وهذه الصفات الجليلة كلها تتناسب وتنسجم مع موضوع البيعة والتمكين في الأرض.

٢ – فواصل تصف عذاب الكافرين في الدنيا والآخرة وهي:﴿وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾

[1] سيبويه، عمرو بن عثمان،**الكتاب**،تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي– القاهرة، ط٣، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، ج٤،ص٢٢٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعد ذكر أصحاب الأعذار الذين سمح الله تعالى لهم بأن يتخلَّفوا عن الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم – بسبب أعذارهم الحقيقية، وبعد بيان أن من أطاع الله تعالى فله جنات الخلود، ومن تولى فله عذاب أليم، جاءت الفاصلة﴿وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾، وجاء التعبير في كلمة(يُعَذِّبْهُ) بالمضارع؛ للدلالة على الاستمرار بالتعذيب في الدنيا والآخرة، فعذابهم في الدنيا يكون بهزيمتهم على أيدي المؤمنين، وببعدهم عن محبة الله تعالى، وفي الآخرة عذاب أليم موجع، وجاء التعبير به نكرة منوناً؛ لتهويل هذه العذاب وعدم حصره بنوع واحد، فلك أن تتخيل هذا العذاب وأنواعه.

وجاءت هذه الفاصلة ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، لتأكيد المعنى بالفاصلة السابقة، ونسب الله تعالى فيها العذاب إلى نفسه؛ لزيادة هيبته في نفوس الكفار الذين تولَّوا عن الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم – ، فاستحقوا العذاب في الدنيا والآخرة.

ثم جاء الكلام عن نوع جديد من العذاب، وهو الحرمان من تولِّي الله تعالى لأمورهم ونصرهم، فمن عادى الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم – فقد خسر ولاية الله وتوفيقه، فلا يجد من يرشده إلى طريق الحق، ثم لا يجدون ولياً يوم القيامة، فجاءت الفاصلة ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ولعل هذا من أشد أنواع العذاب النفسي، حين لا يجد الإنسان له حبيباً ولا معيناً يلجأ إليه في ذاك اليوم المُريب، فيظهر ترابط الفواصل ببعضها وتكملتها لمعاني بعضها، وتناسبها كذلك لموضوع البيعة والتمكين في الأرض، فهذا مصير من لم يبايع الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم – .

٣ – فواصل تصف جزاء المؤمنين في الدنيا والآخرة وهي: ﴿ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

﴿ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعد بيان جزاء الكافرين في الفواصل السابقة، ناسب الكلام هنا عن جزاء المؤمنين في الدنيا والآخرة ، وجاءت هذه الفواصل بعد الحديث عن البيعة التي بايعها المؤمنون لله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم –، وما ترتب عليها من معية الله تعالى لهم ونصرته لهم فجاءت الفاصلة﴿ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾، فبيَّن أن لهم أجراً عظيماً في الدنيا والآخرة، فكان أجرهم في الدنيا بمحبة الله تعالى لهم ورضاه عنهم، ونصرتهم على أعدائهم، وكذلك كان من أجره العظيم هدايتهم للصراط المستقيم الذي لا عوج فيه، والذي ما كانوا ليهتدوا له لولا أن هداهم الله فجاءت الفاصلة الثانية﴿ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ فمن مشى على نهج الله تعالى القويم، فاز في الدنيا والآخرة. أما في الآخرة فيكون الأجر العظيم بالفوز بجنات النعيم، وللدلالة على عظم هذا الأجر مجيئهما نكرتين منوَّنتين، وبهذا يتبين مدى الترابط بين الفاصلتين، وترابطهما بموضوع البيعة والتمكين في الأرض.

٤– فاصلة قررت قاعدة ثابتة من قواعد الله تعالى في الكون وهي ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾، ومن مظاهر التَّمكين في الأرض ما جاء في هذه الفاصلة، فنصر الله تعالى لعباده المؤمنين الصادقين وعد من الله تعالى الذي لا يخلف وعده، ولا بد له أن يتحقق، وهذا ما كان في الأزمنة السابقة من نصر الله تعالى لأنبيائه والمؤمنين معهم، وتعذيب المكذبين بكل أنواع العذاب، وما حصل في زمن النبي – صلى الله عليه وسلم –، وسيظل إلى يوم القيامة، ولعل في هذا تنبيه للمؤمنين اليوم من أنكم لو رجعتم إلى دينكم، ونصرتم ربكم، فكونوا على ثقة من أنه سينصركم، ويمكن لكم في الأرض، وهذا الحال من نصرة الله تعالى لعباده المؤمنين وهزيمته للكافرين فيه ترابط وانسجام عجيبين مع الفواصل السابقة لها، كما أنها تتناسب تناسباً بديعاً مع موضوع البيعة والتمكين في الأرض.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥- فواصل قررت أحداثاً من أحداث السيرة النبوية وهي: ﴿ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾﴿ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾

هاتان الفاصلتان من أكثر ما يدل على البيعة والتمكين في الارض، فقد جاءت بعد ذكر الله تعالى لرضاه عن المؤمنين الذين يبايعون الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم -، وأنهم استحقوا إنزال السكينة في قلوبهم لما فيها من صدق ووفاء، وكذلك استحقوا الفتح القريب، فجاءت﴿ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾، وهو فتح خيبر، والانتصار على اليهود، وأخذ الغنائم، وهذا كله من جزاء الوفاء بالبيعة ومن مظاهر التمكين في الأرض، وجاء التعبير ب(وَأَثَٰبَهُمْ)؛ للإشارة إلى أن الله تعالى بعد ما رضي عنهم، أنزل السكينة في قلوبهم، ثم رتب على هذا الرضى فتحاً عظيماً، ليتناسب الجزاء مع العمل

﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ وكذلك الوعد بالفتوحات الكثيرة القريبة القادمة، ولهاتين الفاصلتين ارتباط بالفواصل السابقة، فهذه الفتوحات ما هي إلا من إله عليم حكيم عزيز، وهي جزاء للمؤمنين على صدقهم، وعقاب للكافرين والمنافقين على بور قلوبهم، وهذه هي سنة الله تعالى في الكون، وهذا كله من أفضل وأروع ما يناسب موضوع البيعة والتمكين في الأرض.

وبعد هذا العرض للفواصل في هذا الفصل تبين لنا مدى التنوع في الفواصل القرآنية، وارتباطها ببعضها البعض، ثم تناسبها وتمازجها مع الموضوعات التي جاءت فيها، بحيث لو استبدلنا إحداها لاختل المعنى واختل التناسب والتمازج.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فبعد هذا العرض لموضوع الدراسة (الإعجازُ النَّسَقيُّ للفاصلةِ القرآنيةِ في سورةِ الفتحِ)، توصلت إلى النتائج الآتية:

- ❖ الإعجاز النَّسقي للفاصلة القرآنية وجه عظيم من وجوه إعجاز القرآن الكريم تجب العناية به.
- ❖ لا يمكن دراسة الفاصلة القرآنية بعيداً عن سياقها.
- ❖ تعتمد دراسة الفاصلة على تحليل الآيات الواردة فيها والتدبر في معانيها.
- ❖ اختيرت الفاصلة القرآنية اختياراً دقيقا، بحيث لو استبدلت بغيرها لاختل المعنى.
- ❖ هناك تناسب وترابط بين الفاصلة القرآنية وسياقها، ومقطعها الذي وردت فيه، وموضوعات السورة.
- ❖ ارتباط الفاصلة بالسياق والمقطع والموضوعات يكون بعدة أوجه تظهر في المعنى اللغوي، والموقع الإعرابي، وصفات الحروف، وأحكام التجويد، والمشتقا
- ❖ تسهم الفاصلة في تأكيد معنى السياق، أو تحسينه، أو إضافة معنى زائد عنه.
- ❖ يظهر حسن تصوير المشاهد الذي تسهم به ملمات الفواصل خاصة تلك التي وقعت في معرض الحديث عن الصلح، فمنها فواصل تقرر بعض أحداث السيرة النبوية، وأخرى تصور مشاهد من يوم القيامة، والأخيرة تقرُّ بعض القواعد التربوية في حياة المسلم.
- ❖ للفاصلة القرآنية دور بارز في إظهار وحدة النَّسق في سورة الفتح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- قوله تعالى(فتحاً مبيناً)، هو صلح الحديبية. وقوله تعالى(فعجل لكم هذه)، صلح الحديبية أيضاً.

التوصيات:

توصي الدراسة:

- بالاهتمام بدراسة إعجاز الفواصل القرآنية، والبحث فيها من خلال السور التي لم تبحث.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصادر والمراجع

١. الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية– دمشق، بيروت، ط١٤١٢هـ.

٢. الألوسي، شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ، دار احياء التراث العربي، بيروت–لبنان، د.ط، د.ت.

٣. البخاري، محمد بن اسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أيام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، د.م، ط١، ١٤٢٢هـ.

٤. البغوي، الحسن بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، د.م، ط٤، ١٤١٧هـ–١٩٩٧م.

٥. البقاعي، ابراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت.

٦. البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ط، ١٤١٨هـ.

٧. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، دلائل النبوة، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، د.م، ط١٤٠٨١ هـ – ١٩٨٨م.

٨. الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الكبير، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، د.ط ، ١٩٩٨م.

٩. ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف ،النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، د.ط، د.ت.

١٠. حجو، رحمة فرج، ١٤٣٣، سورة الفتح، (رسالة ماجستير منشورة)، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة.

١١. الحمداني، عبد القادر عبد الله، البلاغة القرآنية في نكت الرماني، د.د، د.م، ط١ ،١٤٣٥هـ–٢٠١٤م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٢. ابن حنبل، احمد بن محمد، المسند، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وأخرون، مؤسسة الرسالة، د.م، ط١١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

١٣. أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، دار الفكر-بيروت، تحقيق: صدقي محمد جميل، د.ط، ١٤٢٠هـ.

١٤. الخطابي، حمد بن محمد، بيان إعجاز الفرآن، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف- مصر، ط٣، ١٩٧٦م.

١٥. الخطيب، عبد الكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي -القاهرة، ، د.ط، د.ت.

١٦. الخلوتي، إسماعيل حقي بن مصطفى، روح البيان، بيروت، دار الفكر، د.ط، د.ت.

١٧. الداني، عثمان بن سعيد، البيان في عدّ آي القرآن، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث – الكويت، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

١٨. الدليمي، محمد كاظم، عصمة الانبياء،١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.

١٩. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية-الدار النموذجية، بيروت- صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢٠. الرازي، محمد بن عمر ،مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٢١. الرافعي، مصطفى صادق إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي- بيروت، ،ط٨، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.

٢٢. رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.م، د.ط، ١٩٩٠م.

٢٣. الرماني، علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول، دار المعارف- مصر، ط٣.

٢٤. الرومي، فهد بن عبد الرحمن، دراسات في علوم القرآن، ط١٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣.

٢٥. الزَّبيدي (الملقّب بمرتضى)،محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.م، د.ط، د.ت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٦. الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، تفسير أسماء الله الحسنى، دار الثقافة العربية، د.م، د.ط، د.ت.

٢٧. الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق ، اشتقاق أسماء الله، تحققي: د. عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، د.م، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٨. الزركشي، محمد بن عبد الرحمن، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، د.م، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧، ط١.

٢٩. الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٣٠. الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي- بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٣١. ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.

٣٢. آل سعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تفسير أسماء الله الحسنى، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، د.ط، ١٤٢١هـ.

٣٣. سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٣٤. السيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.م، د.ط، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

٣٥. السيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ،١ ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٣٦. الشاذلي، سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، د.م، ط٩، ١٤٤٠هـ - ١٩٨٠م.

٣٧. الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، د.م، د.ط، د،ت.

٣٨. الشنقيطي، محمد الامين بن محمد، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان، د.ط، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣٩. الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، دار ابن كثير- دار الكلم الطيب، دمشق- بيروت، ط١.

٤٠. الصابوني، محمد علي، النبوة والانبياء، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٤١. الصافي، محمود بن عبد الرحيم، الجدول في إعراب القرآن، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، ط٤، ١٤١٨ هـ.

٤٢. الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٤٣. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، د.ط، د.ت.

٤٤. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر-تونس، د.ط،١٩٨٤هـ.

٤٥. عباس، فضل حسن، اعجاز القران، جامعة القدس المفتوحة، عمان- الاردن، ط٢، ١٩٩٧م.

٤٦. عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، دار النفائس- الاردن، ط١٢، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٩م.

٤٧. عتيق، عبد العزيز، علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١ ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٤٨. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، د.ط، ١٣٧٩هـ.

٤٩. ابن عطية،محمد بن عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: المجلس العلمي بتارودانت، د.م، د.ن، د.ط ، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٥٠. أبو عون، نمر محمد، ١٤٣١هـ، المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها دراسة تطبيقية على سورة محمد -صلى الله عليه وسلم- حتى نهاية سورة الرحمن،(رسالة ماجستير منشورة)، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية- غزة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥١. الفارابي، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت،ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٥٢. ابن فارس، احمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ،دار الفكر، د.م، د.ط، ١٣٩٩هـ –١٩٧٩م.

٥٣. الفراهيدي، الخليل بن احمد، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.م، د.ط، د.ت.

٥٤. الفيروزآبادى، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

٥٥. القحطاني، سعيد بن علي، شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة، الرياض، مطبعة سفير، د.ط، د.ت.

٥٦. والقرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ، دار عالم الكتاب، الرياض، د.ط، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٣م.

٥٧. القطان، مناع بن خليل، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف، د.م، ط٣، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م.

٥٨. محيسن، محمد بن محمد، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، دار الجيل – بيروت، ط١ ، ١٤١٧هـ–١٩٩٧م.

٥٩. المرسي، علي بن اسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.

٦٠. المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي،طهران ٠ايران، ط ١، ١٣٨٥هـ.

٦١. مليسي، ابراهيم بن محمد ، ١٤٣٤هـ ،التناسق الموضوعي في سورة الفتح ،(رسالة ماجستير منشورة) كلية الدعوة وأصول الدين ،جامعة أم القرى ،المملكة العربية السعودية.

٦٢. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر– بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦٣. النقيب، محمد حسين، الفاصلة في السياق القرآني(سورة مريم أنموذجاً)،بحث، اليمن.

٦٤. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ط، د.ت، ج٣، ص١٤١٣.

٦٥. ابن هشام، عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية ، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م.

٦٦. الواحدي، علي بن أحمد، أسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، : دار الكتب العلمية – بيروت، رقم(٧٤٦)، ط١,١٤١١هـ.

٦٧. المواقع الإلكترونية

٦٨. ابو رز، عطية مرجان، لطائف من الاعجاز القرآني في اسم الله العزيز، نشر بتاريخ٢٩-٩-٢٠١٤.

٦٩. https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/٢٠١٤/٠٩/٢٩/٣٤٣٤٢١.htm.

٧٠. ابن عثيمين، ، وجه اقتران اسم الله العزيز باسمه الحكيم والجبار، اسلام ويب، الفتوى، رقم الفتوى(٥٠٨٢٣)، نشر بتاريخ ٢٠ جمادى الاولى ١٤٢٥- ٧-٧-٢٠٠٤. http://library.islamweb.net/ar/fatwa/٥٠٨٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Abstract

Al-Absi, Hala Muhammed Mahmoud.(The Syntagmatic Inimitability of the Qur,anic fasilah in surah Al- fath), Master of Arts, Yarmouk University(٢٠١٩),(Supervisor D. Natheer Nabeel Al- Sharairi, principal).

This study aimed at showing the syntagmatic Inimitability of the Qur,anic fasilah in sura Al- fath, through harmony and suitability between the Qur,anic faselah and the context where it is used, it also shows the adaptation and blending between the faselah and the topics in surah Al-Fateh, Beautiful organization and wonderful threading and adaptation are clearly seen as one perfect unit.

The study used both deacriptive and analytical methods.

The study concluded that the Qur,anic Faselah in Al- Fateh surah has great inimitability in threading and suitability to the syntagmatic context and sura topics.

Key Words: Qur,anic Faselah, Al- Fateh surah, Inimitability, Suitability, Syntax.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com